رواية

السر الأخير

عمرو ممدوح

رواية

السر الأخير

عمرو ممدوح

1

مضى الدكتور مختار يطالع كتابه الضخم بشغف في حجرة مكتبه المنزلية فكم كانت متعة المطالعة لديه حتى انسته وحشته والوحدة التي اخذت تسيطر على حياته منذ مقتل زوجته في آروبا قبل ان يقرر العودة الى موطنه وقضاء ما تبقى له وحيدا بين التاريخ وكتبه وتدريسه .

رغم استغراقه في القراءة إلا ان صوتا من الصالة انتزعه من موضعه وهو على يقين انها تلك الهرة السخيفة لجاره التي اعتادت ان تقتحم وحدته بين حين والآخر مسببة الفوضى إلا ان هذه المرة وهو يخرج من مكتبه كان ساخطا بشدة لآنها آخرجته من أهم جزء في الكتاب .....

-- بس بس

اخذ يخرج هذا الصوت من بين شفتيه محاولا اخراجها من مخبآها كانت في المعتاد هذه مهمة خادمه العجوز الذي تغيب اليوم لزيارة ابنه

شعر الدكتور مختار بالصوت يقترب من خلفه وقبل ان يستطيع الالتفات شعر بجسم معدني يهوى على ام رآسه وخيط رفيع من الدم ينساب بدفئ الى مؤخرة رآسه وسرعان ما سقط آرضا لترتسم ابتسامة ساخرة لم تظهر من خلف ذلك القناع الأسود إلا أن العينين السوداوتين قد بدا جليا عليهما علامات الظفر قبل أن يخرج من جيبه شكلا معدنيا أصدر بريقا لانعكاس أضواء المصباح

المعلق بالسقف عليه .....

****

جلس آدم امام شاشة حاسوبه يتجول بين محركات البحث مستغرقا في بحثه الغريب محاولا تجاهل ما حدث هذا النهار فهو كعادته قد وصل الى الجريدة التي عمل فيها لمدة خمس سنوات كاملة يكتب في تاريخ الاساطير القديمة والحديثة في مكانه الاسبوعي المخصص على صفحات الجريدة

دخل من باب الجريدة بقامته الفارهة وبنطاله الجينز وتيشيرت بنصف كم يظهر زراعه المفتول وابتسامته الجذابة التي لا تفارق وجهه الا نادرا وكان مظهره مثار جدل في الجريدة حيث تنتشر البزات الرسمية ورابطات العنق وقد اشار البعض ان تخصصه في الاساطير والمنظمات السرية يتنافى مع مظهره الحداثي فبرغم سنوات عمره الخمسة والثلاثون ما زال أعزب

ما ان وصل الى مكتبه حتى اقترب منه الساعي يعلمه برغبة المدير رؤيته على الفور !

كان أمرا مستغربا جدا فهو لايذكر أنه قابله بشكل شخصي طوال الخمس سنوات إلا عدد قليل جدا من المرات قد لا تتخطى أصابع اليد الواحدة !

لم يستغرق وقتا حتى كان يهندم من مظهره أمام مكتب المدير

الفاخر الذي تبدو عليه مظاهر البزخ والترف رغم أنها جريدة تابعة للدولة !

وقف آدم بهدوء أمام مكتب المدير الذي تكور بكرشه الضخم في كرسيه الوثير ولغديه متهدلين على ياقته بشكل يثير السخرية

-- أستاذ آدم لقد سعدنا بوجودك معنا خلال الفترة السابقة

-- ماذا يعني هذا سيدي؟

تنحنح الرجل البدين وهو يمسح قطرات من العرق عن جبهته رغم التكييف القوي

-- لقد صدر قرار بالاستغناء عن خدماتك ...

احتقن وجه آدم بشدة وقد تلعثمت الكلمات على شفتيه :

- هل يمكنني الإطلاع على السبب ؟!!

نهض الرجل من خلف مكتبه وخلع نظارته وضعها على المكتب واقترب من آدم وقال

-- صدقني ليس الأمر بيدنا

ارتفع حاجبي أدم مندهشا

-- بيد من اذا ؟؟!!

تنهد الرجل بعمق وقال :

-- كل ما اعلمه أنه أمر سيادي

ربط الرجل على كتفيه ثم أردف قائلا :

-- فليكن الله في عونك

كان الأمر ايذانا بإنهاء اللقاء ليخرج آدم وهو يرسم في مخيلته ملايين علامات الاستفهام والتعجب !!!!

فذلك الصحفي الشاب الوسيم بثيابه الكاجول لم يكن ابدا من الذين يهتمون بشئون السياسة غير من بعض العناوين الرئيسية لجريدته أو نشرة الأخبار التي قد نصادفه احيانا !!!

ما الذي يجعل هذه السيادية ترهق نفسها بمثل هذا القرار ؟؟؟!!!!!

في منزله ورغم ارهاقه لكن الأرق كان حليفه مما جعله يستغل وقته في بحثه المرهق عبر الانترنت فذلك البحث قد استغرق منه عامين كاملين ورغم أن هذا بحث شخصي ليس له هدف سوى الفهم والثقافة إلا انه شارك بعضا منه على مدونته الالكترونية مما أدى إلى حالة من الضجيج الالكتروني في تعليقات القراء الذين أرعبتهم فكرة هذا البحث الخطير !!

كانت تعلو الصفحة اشارة حمراء تشير إلى بريد وارد ولكنه ظل مشغولا ببحثه حتى وقع بصره على مظروف اصفر ضخم كان قد أتى به رجلا عجوزا منذ عدة ايام ومنذ ذلك الحين وقد شعر أنه يسير في طريق صحيحة فبحثه الذي بدأ اهتماما شخصيا إلا أنه تحول إلى أمر مصيري للبشرية جمعاء.....

****

وضع المقدم حسين يديه معقودتين على صدره وعيناه تتجولان بين الجثة المسجاة أمامه وبين أرجاء الصالة في شقة الدكتور مختار

وحول الجثة بركة من الدماء المتجلطة قد تحولت الى لون قاتم وقميص الدكتور الممزق من عند منطقة الصدر

اقترب ضابط شاب من المقدم حسين قائلا في هدوء

-- الدكتور مختار الشامي استاذ تاريخ بالجامعة 55سنة يعيش بمفرده الا من خادم عجوز

نظر اليه حسين وقال

-- واين هو ذلك الخادم ؟

اشار الضابط الى موضع المطبخ

-- هناك

هل هو من أبلغ بالحادث ؟

-- نعم سيدي

-- حسنا خذ اقواله وليحضر معنا الى القسم للتحقيق هل من شيء أخر ؟

-- نعم سيدي الوفاة نتجت عن ألة حادة من الخلف

نظر حسين الى الجثة ثم نظر الى الضابط قائلا :

-- لا توجد آثار مقاومة فلماذا قطع القميص هكذا ؟

أشار الضابط إلى علامة بارزة أسفل القطع مباشرة قبل أن يشيح بوجهه ويقول :

-- سنعرف كل شيء في وقته ماذا يوجد هناك ؟

كان يشير الى حجرة المكتب مباشرة فاجابه الضابط وهو يتحرك مع حسين

-- حجرة مكتب ومكتبة يبدو أن القتيل كان يستخدمها قبيل الحادث مباشرة .

اقترب حسين من المكتب ليمسك بالكتاب الذي كان يطالعه الدكتور قبل مقتله ثم مط شفتيه وهو يعيده الى موضعه قبل ان يلتفت الى حاسوب شخصي وضع عند زاوية الغرفة فاقترب منه ومد يده ويفتحه ليصرخ على الضابط

-- منذ متى تمت الجريمة ؟؟

-- ساعتين تقريبا

-- اريد فحص هذا الجهاز فهو في وضع الاستعداد مما يعني ان احدهم استخدمه ومن المؤكد أنه ليس الدكتور فهو كان يطالع هناك ...

اقترب حسين منالمكتبة الضخمة بعدما بدأ الضابط في تحريز الحاسوب واخذ المقدم الأسمر بجسده المربع القوي وشاربيه الكثين يطالع عناوين الكتب الموجودة على الارفف مهندمة فالدكتور كان حريصا على مكتبته ربما أكثر من أي شيء أخر مضى المقدم يسير ببصره عبر العناوين المتراصة فاستوقفه عنوان مجلد رغم أنه يتوافق تماما مع مجال الدكتور فهو موسوعة مصر القديمة ولم يكن في الحقيقة عنوان الكتاب ما جذبه ليمد يده ويخرج الكتاب من موضعه ولكنه ذلك التجويف بين صفحات الكتاب !!!!
ما ان أمسك بالكتاب حتى سقط منه شيء معدني ليحدث رنين وينذر بمفاجأة ...

****

شحب وجه آدم بشدة خاصة مع لحيته التي بدأت شعراتها في البروز مما جعل وسامته المعهودة تتأثر بشدة خاصة مع عيناه الغائرتين فثلاثة أيام بلا نوم الا نذرا مع امضاء ساعات طويلة امام شاشة الحاسوب كانت كفيلة بتحويله الى شبح هزيل إلا أن ما توصل إليه في بحثه كان يستحق أن يظل مستيقظا لسنوات .

ضغط زرا في حاسوبه لتصدر ألة الطبع الشخصية أزيزا عاليا وما هي إلا لحظات حتى بدأت الأوراق تنساب من أسفل الماكينة ليلتقط ورقة ورقة وهو يلقي نظرة سريعة ثم يرتبهم بشكل جيد .

ما إن ظهرت الورقة الأخيرة حتى مد يده إلى المظروف الأصفر الضخم ليلتقطه ويفتحه فيخرج من محتوياته ورقة مطبوعة من لونين فينظر إلى تكدس اللون الأسود على الورقة ثم يديرها ثمانون درجة وهو ينظر إليها ثم يديرها ثمانون درجة أخرى عكس عقارب الساعة ، ظل هكذا حتى وصل الى 360 درجة كاملة ثم وضعها أمامه وعاد بظهره على مقعده وهو يشعل سيجارته ويطلق زفرة عميقة ويتمتم قائلا :

--الأن ستظهر الحقيقة للجميع وسيظهر السر للعلن ...

****

جلس المقدم حسين خلف مكتبه وهو يطالع عددا من الأوراق

أمامه ومن بينها عدة صور فوتوغرافية لجثة الدكتور مختار

أخذ حسين يتفحصها باهتمام ثم فتح درج مكتبه وأخرج منه ذلك الشيء المعدني الذي سقط من الكتاب بشقة القتيل وأخذ يقلبه في يديه بعناية عندما سمع صوت طرقات الباب

-- ادخل ..

دلف الى الحجرة ذلك الضابط الشاب ليلقي تحية عسكرية فيردها حسين وهو يضم كفه على القطعة المعدنية كمن يخفيها عن عيني الضابط

-- اقترب يا هشام هل من جديد ؟

تنحنح الضابط هشام في توتر قبل ان يقول

- نعم ياسيدي لقد أخبرني الخادم العجوز أن الدكتور مختار ليس له أية علاقات ولا يتلقى أية زيارات..

اعتدل حسين في جلسته وبدا عليه الاهتمام الشديد في حين أردف هشام قائلا:

-- ولكن حاسوب الدكتور يؤكد غير ذلك تماما!!

-- ماذا يعني هذا بالضبط ؟؟

كان مازال الضابط هشام واقفا ومع نسيان رئيسه دعوته للجلوس قرر هو اتخاذ هذه الخطوة فاقترب من المقعد المواجه لحسين وجلس قبل أن يواصل روايته

-- لقد وجدنا مراسلات كثيرة جدا عبر البريد الالكتروني لعدة أشخاص ورغم تكرار نفس المجموعة غالبا إلا أن أغرب شيء أن هناك شخص تم تبادل أكثر من خمسون رسالة معه تدور حول موضوع غريب لكن المهم أن أخر رسالة هي الأهم حيث ان الدكتور يخبر ذلك الشخص أنه سيرسل له مع خادمه غرض شديد الأهمية والسرية مع خادمه !!!!!!

قال حسين متعجبا :

-- وما المهم في هذا وما هوهذا الغرض ؟!!!!

-- لا أعلم حقيقة ما هو هذا الغرض لكن المهم أن الخادم لم يأتي على ذكر مثل هذه الرسالة خاصة أنها كانت قبل الجريمة بيوم واحد فقط!!!

-- ربما ظن ان الامر ليس ذو أهمية تذكر ؟

-- نعم سيدي هذا جائز اذا أغفلنا زيارة قام بها هذا الشخص المجهول للدكتور قبل تاريخ الرسالة بيوم واحد فقط رغم أن الخادم أكد انه لا زيارات!!!!!

بدا لحسين أن تحليل الضابط الشاب منطقي جدا فنظر الى الضابط هشام وقال وهل واجهت الخادم بهذه الامور ؟

-- لا في الحقيقة

-- حسنا استدعيه الأن الى هنا

مسرعا تحرك هشام الى الخارج ليترك حسين الذي نظر الى الشكل المعدني في كفه مرة أخرة وتناول الى احدى الصور

الفوتوغرافية ....

****

رغم حرارة الجو المرتفعة إلا أن صوت الرعد وانعكاسات البرق على زجاج النافذة جعل ذلك الطفل ترتعد جميع فرائسه وهو يشد غطاءا خفيفا على وجهه لم يمنع تسلل البرق إلى جفنيه المطبقين في خوف ليشعر فجأة بغطائه يسحب ببطئ من على وجهه وجسده ينتفض بشدة وجبينه يتصبب عرقا يحاول أن يصرخ لكن شيئا في حلقه يحول دون خروج صوته وذلك الشئ يقترب منه أكثر فأكثر وذلك الشكل المعدني يعكس الضوء القادم عبر زجاج النافذة وعينا الوحش تقترب أكثر وأكثر حتى تكاد نظراته النارية تخترق كل خلجة من خلجاته وهو يشير بالشكل المعدني في وجهه ويقربه من رأسه و.....**

انطلق صوت جرس الباب فجأة بالحاح ليعيد أدم إلى وعيه وهو يلهث كمن كادت روحه أن تغادر جسده توا !!!!!!

خلال لحظات كان أدم يعي تماما أنه كان أسيرا لأحد الكوابيس التي اعتاد عليها خلال الأونة الأخيرة ، أمسك بساعة مكتبية ليجد الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل والباب مازال جرسه يرن بالحاح شديد مما جعله ينطق بشيئ ما كسباب من ذلك الزائر اللحوح وفي محاولة بائسة استطاع الوصول الى شبشبه لينهض ويرى من القادم في مثل هذا الوقت المتأخر .

كان المقدم حسين يقف أمام الباب بهدوء تام وهو يجول بناظره على أبواب الشقق المغلقة فالوقت فعلا غير ملائم لأية زيارة إلا

اذا كانت رسمية بشكل ما وهذا أيضا لم يتوافر لحسين حتى يزور أدم بهذا الشمل لكن أسبابه كانت بالوجاهة بحيث يقوم بهذا الاستثناء .....

وقف أدم يداعب عينيه محاولا التحقق من ملامح الواقف أمامه والذي دلف خطوات دون استئذان مما جعل أدم الذي استفاق بعض الشيء يسأله :

-- أي خدمات ؟!

نفث حسين دخان سيجارته بقوة وهو ينظر إلى داخل الشقة

-- شقة جميلة بالنسبة لصحافي بدون عمل!!

نظر اليه الأول بغيظ وهو يقول:

-- هل يمكن أن تعلمني من أنت وسبب هذه الزيارة المتأخرة ؟؟

في برود تقدم حسين خطوات الى الداخل وقد برع في اثارة حفيظة أدم الذي يتسم بالهدوء بشكل كبير ...

-- لماذا تركت الجريدة يا أستاذ أدم ؟

نظر اليه الأخير بضيق وقال :

-- أعتقد أن اقتحام البيوت بعد منتصف الليل يشكل خرقا للقانون ؟

ضحك حسين قبل ان يمد يده في جيبه ويخرج بطاقة هوية ليشير بها الى أدم

-- المقدم حسين جاد المولى مباحث عامة

نظر أدم الى البطاقة سريعا وحاول جاهدا أن يتمالك رباطة جأشه وهو يشيح بوجهه عن البطاقة ويقول :

-- و إن يكن هل هناك شكل رسمي ؟

نفث حسين دخان سيجارته والقاها أرضا ليسحقها بحذاءه الثقيل مما جعل أدم يشتعل غيظا من هذه الفعلة في حين ارتسمت على وجه الأول ابتسامة غامضة وهو يقول :

-- ليست بشكل رسمي حتى الأن ولكن قد تكون كذلك ان شئت!!!

صمت أدم مطولا مما جعل حسين يضحك وهو يدلف ليلقي نظرة سريعة من حوله ومن ثم يلتفت الى أدم الذي ما زال يعض على شفتيه غيظا

-- اعتقد أن كوبين من الشاي لا بأس بهمافالأمر يحتاج بعض الوقت...

****

أمام المرآة تحسست قوامها الممشوق وعيناها السوداوتين قد أضفى عليهما سواد الكحل الذي كسا أهدابها الطويلة اطلالة شديدة الخصوصية متناسبة مع شعرها الحالك القصير الذي يصل الى مؤخرة رأسها بالكاد .

رغم جمالها الا أنها لأوقات طويلة افتقدت الى انوثتها رغم تلك التضاريس التي تملأها وتظهر جلية في ثيابها الداخلية أمام المرآة

كان جمالها رسالة مقدسة تداعب خيال الرجال فكون جمالها واجب مقدس حتى كان ذلك اليوم الذي نست فيه أنها أنثى وأن ذلك الجسد المتفجر يجب أن يكون قربانا لهدف أسمى وأطهر حتى الألم الذي اعتادته صار أشد لذة من عناق حار مع عشيق يشعلها حضنه الدافئ .

نظرت الى انعكاس وشمها في المرآة بلونه القاتم لتفيق من ذكرياتها القديمة وتفيق الى حقيقة رسالتها لتمد يدها وتمسك بذلك الشكل المعدني من أمامها تتفحصه جيدا قبل أن تلتقط هاتفها الذي تعالى أزيزه ودون أن تنظر الى الاسم الظاهر على الشاشة تضغط على زر الاجابة ليأتيها ذلك الصوت العميق كأنه يأتي من العالم الأخر :

-- يجب عليكي انهاء المهمة المفتاح الثاني يجب أن يكسر...

بهذه العبارة الغامضة انتهت المحادثة دون أن تنبث ببنت شفاه لتلتفت الى حقيبة سوداء صغيرة وتخرج منها علبة صغيرة تلتقط منها حبتين لتلقي بهما الى جوفها قبل أن تكمل ما بدأته منذ زمن فالوقت قد اقترب حقا للنهاية ....

****

جلس حسين أمام أدم والأخير يجرع الشاي بعصبية في انتظار زائره الغامض أن يطلعه على سبب تلك الزيارة المريبة ..

مضى حسين يراقب أدم من خلف فنجانه فهو يعرف نفسه قناصا محترفا وأدم بالنسبة له فريسة يحب أن ينظر إلى عينيها وهي تسقط في شباكه وقد اقترب كثيرا من مهمته فلقد بدا القلق

والاضطراب يضربان برأس أدم الذي فشلت كل محاولاته للسيطرة على رباطة جأشه ..

وهنا قرر حسين اقتناص فرصته والامساك بزمام المبادرة

-- أستاذ أدم هل تعرف هذا الشكل .....؟؟؟؟

أخرج حسين من جيبه شكلا معدنيا لامعا تحققه أدم جيدا فطلت من عينيه الدهشة

-- بالطبع أعرفه انه الرمز عنخ مفتاح الحياة عند الفراعنة!!!!!

-- حسنا بداية جيدة.

نظر اليه أدم بغيظ قائلا:

-- هل هذا سبب زيارتك في مثل هذا الوقت ؟؟ كان يكفيك ان كنت لا تعرف حقا ماهيته رغم أنني لا أعتقد أن احدا في العالم كله لا يعرف ما هو أن تزور أحد المواقع في الانترنت ؟؟؟!!!!

-- لكنني أظن أنك ستفيدني بشكل أكبر من النت.

عقد أدم حاجبيه ونظر الى حسين متحديا:

-- أعتقد أنك مخطئ فأنا لست عالم مصريات .

-- حسنا ولكن حتما لديك معلومات يمكنني الاستفادة منها...

-- لا أفهم ؟

-- هل تعرف الدكتور مختار الشامي ؟

كان الاسم مفاجأة بالنسبة لأدم الذي بذل مجهودا خرافيا للسيطرة

على ذلك التعبير الذي ارتسم على وجهه والذي التقطه حسين بنظرته الثاقبة في حين قال أدم :

-- نعم أستاذ التاريخ الشهير ومن لا يعرفه!! ؟

-- حقيقة أنا لم أكن أعرفه قبل يوم واحد ..

ضحك حسين بشدة في حين امتعض وجه أدم الذي اشمئز من الأول في حين أردف حسين قائلا :

-- اسمع استاذ أدم يبدو أنك لم تعي سؤالي جيدا فأنا أقصد معرفة شخصية ؟

-- لا الا من بعض المراسلات الالكترونية الخاصة بموضوعات تخص مدونتي وكنت متفاجئا أنه يتابعها !!!

-- عماذا تدور هذه المراسلات تحديدا ؟؟؟

-- كما أخبرتك حول موضوعات أنشرها عبر مدونتي ...

-- تمام

نظر أدم اليه قبل أن يأخذ جرعة من سيجارة أشعلها ليخفي توتره الشديد وقال :

-- ماذا يحدث ياسيادة المقدم تحديدا ؟؟

مد حسين يده الى جيبه وأخرج مظروفا ناوله لأدم وما ان وقعت عيناه على محتواه حتى قفزت عيناه من محجريهما فكان ما حذره منه الدكتور مختار صحيحا بل واقعا مريرا ....

****

سحقت سيجارتها بعنف وعصبية وهي تلتفت يمينا ويسارا قبل ان تضغط جرس الباب وما هي سوى لحظات حتى ظهرت سيدة في منتصف العقد السادس تنظر متعجبة من تلك المرأة الجميلة الشاحبة تقف أمامها في مثل هذا الوقت المتأخر في حين بادرتها بالسؤال :

--نعم ؟

-- هل الدكتور محمد جمال موجود ؟

-- نعم أخبره بمن الذ.....

لم تكمل العجوز حيث دفعتها وانقضت عليها تحيط بكفها الأيمن على فكيها كاتمة أنفاسها وزراعها الأيسر من خلف رأسها لتجذبها بقوة احترافية فيصدر عن عظام عنقها صوت مكتوم ثم تسقط العجوز جثة هامدة .....

سمعت الفتاة صوتا من الداخل ينادي على زوجته التي دفعت جثتها وأغلقت الباب بهدوء متجهة الى مصدر الصوت ليجدها محمد جمال تقف امامه عند باب الغرفة فجحظت عيناه بشدة وهو يقول متلعثما

-- أين سميرة ؟

ابتسمت ساخرة وهي تقول:

-- سبقتك إلى جنتكم .

صرخ بشدة ونهض مندفعا مهاجما الفتاة التي استدارت بمهارة لتمسك بزراعه اليمنى وتضغط على مرفقه بقوة حتى شعر بعظام يده تصدر فرقعة خافتة صاحبها اعصار من الألم يضرب رأسه ليصرخ بشدة في حين جذبته اليها واقتربت بشفاهها من أذنه وهي تهمس :

-- لا تستعجل اللحاق بها فقط يجب أن تخبرني بما تعرفه ؟؟

قال بصوت متهدج :

-- لا أعرف عماذا تتحدثين ؟

ضغطت على عظمته المكسورة بشدة مما ضاعف ألامه ألاف المرات وهي مازالت تهمس :

-- لتعلم أن متعتي المفضلة النظر إلى عينين تصارعان الموت فلتخبرني بالسر وترحم نفسك مما حدث لزوجتك وصديقك مختار ..

-- مختار .؟؟ هل ؟؟

ضحكت بشدة وقالت :

-- كان غبيا وأظنك لست كذلك ؟

تمالك نفسه باعجوبة وهو يجاهد قائلا :

-- لتتمي مهمتك الأن ..

خففت الضغط عن زراعه قليلا فاستدار بجهد لا يتناسب مع كهولته ودفعها وهرع مسرعا خارج الغرفة وهو يرفع زراعه المكسورة بالأخرى ولكنها تبعته في هدوء وهى تبرز الشكل المعدني في يدها وهو يحاول الهرب ليتعثر في أحد المقاعد فيسقط

أرضا فتقفز فوقه وتمسك بشعره الفضي ثم تهوى على مؤخرة رأسه في حرفية عالية لينساب خيط الدم القرمزي على مؤخرة رأسه ثم تلتفت في اتجاه المطبخ وهي تقول متمتمة :

-- عجبا لهؤلاء الحمقى يظنون أنهم سيذهبون إلى النعيم !!!!!

ثم انطلقت إلى الشقة تفتش عن سرها ...

****

-- هل تعني لك الصور شيئا ؟

قالها حسين الذي يراقب كل ردة فعل لأدم الذي نظر لصور جثة الدكتور مختار في ذهول فرغم سيل الدماء إلا أن الصورة المقربة لمنطقة الرأس قد أوضحت ملامحه بشكل كبير ...

نظر أدم اليه وهو بالكاد يصدر صوتا :

-- من فعل هذا ؟

مط حسين شفتيه وقال :

-- أنا هنا لأعرف ؟!

تعجب أدم بشدة وقال :

-- ماذا يعني هذا بالضبط ؟؟

اعتدل حسين في مجلسه وهو يشعل سيجارته وينفث دخانها بعمق قبل أن يقول :

-- استاذ أدم يجب أن أختصر المسافات أنت تحاول كتمان شيئا ما ولتعلم أننا أمام جريمة قتل كاملة الاركان والى هذه اللحظة

نحتاج لمتهم

-- هل يعني ذلك أنني متهم ؟

-- على حسب .

-- ماذا تعني بالضبط ؟

-- استاذ أدم هل لك علاقة بالدكتور ؟

-- لقد أجبتك عن هذا السؤال مسبقا !!

-- وماذا كانت اجابتك ؟

-- تعليقات حول موضوعات أنشرها وطرح وجهة نظره حولها مثله مثل العشرات ...

-- إذن أنت تريد المماطلة ؟

نهض أدم واقفا بعد أن استفزته جملة حسين بشدة وقال بعصبية :

-- أريد منك توضيحا الأن لسبب الزيارة وبشكل مباشر أو الرحيل فورا ما لم يكن اتهام رسمي ....

ضحك حسين وهو يقف ويخرج ورقة مطواة من جيبه يناوله اياها وقال :

-- قبل أن تفقد أعصابك أريد توضيح لهذه الرسالة التي بعثتها للدكتور قبل يوم واحد من الحادث ...

كحمام بارد سقطت الكلمات على رأس أدم وهو يلتقط الورقة من يد حسين ويفتحها ليجدها رسالة تحمل عنوان بريده الالكتروني

" إنهم سيسعون حتما خلفك وربما قتلوك .."

نظر إليه حسين وهو يبتسم ساخرا :

-- هل لازلت ترفض الكلام ؟؟

-- كيف حصلت على هذه الرسالة ؟؟؟

-- كان الدكتور يحتفظ ببريده وكلمة سره على حاسبه النقال مما جعلنا نستطيع الولوج اليه وبما أنك تنشر بريدك كعنوان للمراسلات على مدونتك فلم يكن من الصعب ببحث بسيط على جوجل الوصول الى مدونتك والتي مازلت تذكر فيها مهنتك ومحل عملك في الجريدة التي أخبرتنا بفصلك منها وعنوانك ...

سقط أدم في مقعده

كأنه جثة هامدة وأمسك بعلبة السجائر وأشعل سيجارة نفث دخانها قبل أن ينظر إلى حسين وهو يقول :

-- هذا أمر يجب ألا أبوح به لأحد .....

-- ما هو هذا الشيء ؟

-- سأخبرك بكل شيء

و بدأ أدم في روايته وكانت شديدة الغرابة

****

4

انطلقت سيارتها الرياضية الصغيرة بسرعة صاروخية في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ونسمات عليلة تملأ رئتيها وشعرها يتطاير من هواء يتدافع عبر زجاج السيارة المفتوح ....

شعرت بارهاق شديد فلقد قامت بجريمتي قتل خلال الأربعة وعشرون ساعة الماضية بدم أشد برودة من قطبي الأرض !!

لم تكن تتخيل يوما أن قدرها سيحولها الى قاتلة باسم الواجب المقدس أنها ستكون الساعد الأيمن للقدر .....

من بعيد بدا ذلك الضوء المتسلط من الأسفل على أعظم بناء عرفته البشرية وأكثرها غموضا ليضفي مسحة من المهابة القدسية عليه فوق الهضبة الشهيرة جنوب القاهرة انه هرم خوفو عجيبة العجائب الدنيوية .

فهذا البناء بالنسبة لها ليس مجرد مبنى يرتفع عشرات الامتار ويحتوي على ألاف الأطنان التي مازال الجميع يعجز عن فهم كيفية رفعها ونقلها في تلك العصور الغابرة ولا حتى عجائبه الهندسية الفريدة التي يعرفها بعض المهتمين !؟؟؟ ان الهرم بالنسبة لها هو مكان ولادتها الحقيقية والتي شهدت هضبته المقدسة ذلك الحدث الذي انتشلها من الضياع لتتحول الى مقدسة مبجلة .....

كاد شارع الهرم أن يكون خاليا من المارة سوى من بضع سيارات فارهة هي في الأغلب عائدة من الملاهي المنتشرة هنا

وهناك وقد بدا ذلك مؤكدا من حركة بعض هذه السيارات المضطربة مما يدل على ثمالة قائديها ...

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيها وهي تشاهد أحدى السيارات قد اصطدمت بعمود للاضاءة وقد التف حولها عددا من الناس فتطرق الى أذنها صوت أحدهم :

-- لا اله الا الله الراجل هيقابل ربنا وهو سكران ...

تمتمت ساخرة نعم سيقابله حتما !!!!

مع بداية الطريق الصحراوي ازدادت سرعتها لتنحرف يسارا بسرعة لتجتاز طريقا خالي تماما يظهر الهرم الأوسط خلاله بوضوح وعلى بعد مائة متر تقريبا اطفأت جميع أنوار السيارة لتسير على ضوء خافت يعكسه الأسفلت من أضواء الصحراوي الموازي لطريقها ...

قادت سيارتها لمسافة 500متر تقريبا قبل أن تنحرف يمينا عبر مدق جبلي ممهد غير مرصوف حيث ظهرت على مسافة مائة متر عدد من السيارات المتراصة سرعان ما توقفت بينهم في ممر سمح بالكاد دخولها ..

فتحت الباب واتجهت مباشرة الى حقيبة السيارة لتخرج كيسا من القماش الاسود يشبه أكياس الوسادات وبه عدد من الفتحات للأنف والعينين انه قناع بدائي من القماش ...

ابتلعت حبة من علبة صغيرة في جيبها ثم دست رأسها في الكيس ومرت بين السيارات في ظلام دامس حتى وصلت الى هناك تماما....

****

سقط فك حسين وكادت تقفز عيناه من محجريهما بشدة وهو يستمع الى أدم الذي سحب نفسا عميقا من سيجارته وهو يخبر الأول عن موضوع بحثه ..

رغم أن أدم كان يتمنى وضعا أفضل من ذلك يستطيع من خلاله نشر ما توصل اليه خلال الأيام القليلة الماضية وخاصة بعد مراسلات الدكتور مختار

-- أعذرني لا زلت لا أفهم هل تعتقد أن الماسونية خلف مقتل الدكتور مختار ؟؟؟؟

قالها حسين ومازال عقله يعمل بشدة محاولا فهم ما قاله أدم جيدا ....

-- ليس تماما ..

-- أستاذ أدم لا يستطيع عقلي مجاراتك في هذه النقطة ألا أوضحت لي هل قتلوه أم لا ،؟؟؟؟

-- من قتل الدكتور هم من يبحثون عن السر ....

سقط فك حسين السفلي في بلاهة وهو يحاول فهم ما أخبره به أدم فهو يشعر أنه يستمع إلى أسطورة قديمة .....

كان أدم يرسم بمخيلته وضعا مختلفا لنشر بحثه الذي إستغرق منه سنوات لكن ها هو يتخذ منحا خطير جدا منذ أن تم الاتصال بينه هو والدكتور مختار ليتحول الأمر إلى الأسوأ فلا إثارة لضجة أو مقابلات إعلامية فقط ضابط

شرطة متغطرس وربما يتحول الأمر لمحضر رسمي هذا كل شيء بعد سنوات من القراءة والبحث فقط شرطي يأخذه الذهول والدهشة وعلامات البلاهة مرسومة على وجهه وهو يستمع إليه ..

لم يكن أدم صريحا كفاية في علاقته بالدكتور مختار وتواصلهما حتى أخر مرة أرسل الأخير إليه مع خادمه الشخصي مظروف ضخم لم يطالعه حتىالأن لكنه يثق تماما أنه يحمل بين طياته شيء خطير ...

– أعذرني لا زلت أعجز عن فهم هذا الأمر تماما ؟؟ هل تدعي أن من قد يكون خلف مقتل الرجل منظمة سرية ؟؟!!!

كان الأمر في اعتقاد المقدم حسين طريقة ساذجة للتضليل رغم أنها جديدة في شكلها ولكن تواكب تماما تلك الفترة حيث تصدرت فكرة المنظمات المدعومة من الخارج صفحات الجرائد وبرامج التلفاز لكنه لم يبدي هذا الإعتقاد لأدم الذي اضطر أن يبدأ أطروحته من البداية بعدما نفث دخان سيجارته بقوة :

– إنها ليست منظمة بالمعنى الحرفي ..

– وماذا تكون إذن ؟؟؟

– إنها دولة معادية ..

– هل تقصد جهاز مخابراتي لدولة تعادي بلادنا ؟!!!

يمكنك القول إنها دولة تعادي العالم بأثره بل البشرية كلها ..

– إنك تزيد الأمر غموضا !!!

اعتدل أدم وهو يقول :

– إنها دولة خفية لا تشبه الدول التي نعرفها وهذه ليست جريمتهم الأولى فجرائمها على مر التاريخ ..

رفع حسين الذي زاد يقينه أنه أما كذاب أشر أو مخرف كبيرفرفع حاجبيه بتعجب مصطنع :

– وماذا من المفترض أن يعني هذا ؟؟!!
– إن من قتل الدكتور مختار هي دولة الشر السفلية ...
كان الحديث قد أخذ طابع الإثارة لدى حسين مما جعله يجاري أدم قائلا :
– لكل جريمة دافع فما الدافع لقتل أستاذ تاريخ وحضارة فأنا دائما أسمع عن مقتل علماء الذرة أو العلماء العسكريين ؟؟!!
– لا أعرف حقيقة لكن الدكتور كان لديه الكثير عن هذه الدولة فربما يخشون كشفهم أو شيء من هذا القبيل...
وقف حسين الذي بدا أنه أكتفى تماما مما سمع هذه الليلة ونظر إلى أدم في صرامة قائلا :
– ألا يمكننا الأن التوقف عن هذا العبث ونظرية المؤامرة والحديث بجدية ؟؟
كانت المفاجأة كبيرة لأدم الذي ظن لوهلة أن حديثه وجد صداه عند الضابط وكاد أن ينفجر فيه لولا هاتف الضابط الذي دق في هذه اللحظة لتتحول ملامح حسين فيمتعض وجهه بشدة وهو يقرأ الرقم على الشاشة ثم يبتعد قليلا ويتحدث بصوت خافت للحظات قبل أن يرتفع صوته قائلا :
– حسنا سأكون هناك حالا " سلام "
عاد مرة أخرى إلى أدم ولكن هذه المرة كان مبتسما وقال :
– للأسف مضطر إلى الرحيل الأن ..
شعر أدم أن هذا الكابوس سينتهي الأن
– لا بأس يمكننا اكمال حديثنا في وقت أخر ..
أشعل حسين سيجارة استحلبها بشراهة قبل أن يقول :
– ولماذا في وقت أخر ؟؟
– ظننت عليك الرحيل بسرعة !!!
تسارعت دقات قلب أدم بشدة وهو يرى أن كابوسه لم ينتهي بعد في حين

ابتسم الضابط حسين وقال :
– سيد أدم أنت مقبوض عليك باعتبارك المشتبه رقم واحد بقتل الدكتور مختار وكذك الدكتور محمد جمال وزوجته ..

****

جلس آدم ف المقعد الخلفي ويداه بين فخذيه مقيدتان بالقيود الحديدية فين حين جلس المقدم حسين خلف مقود سيارته .
- انا لا افهم لماذا تصر انني انا القاتل رغم اني وضحت لك كل شئ ؟!
قال حسين :
- هو ينظر المرءاة لتعكس صورة آدم الذي بدأ متوترا بشدة
- وهل تعتقد انني اصدق قصة ملفقة لا تكاد تقنع عقل طفل في مرحلته الابتدائية ؟!
حرك آدم يديه المقيدتين بعنف في محاوله يائسه لتحريرهما وهو يقول :
- حتي ولو لم تصدق القصه فليس ذلك دليل علي انني الفاعل !!
- نعم عندك حق ولكن هناك جريمة ولابد من فاعل كما ان هناك ادلة ادانه ضدك ....
جحظت عينا آدم بشدة وهو يسمع هذه الجملة الاخيرة ...
- ان رسالتك من الدكتور مختار تشير فيها الي مقتله كما انك اخر رقم تم الاتصال به قبيل الحادث وقد استغرقت المحادثة اكثر من نصف الساعه كما تشير شركة الهاتف وكما وجدنا هذه في موقع الحادث ...
اخرج حسين من درج السيارة قطعه معدنية اشار بها الي وجه آدم الذي عرفها بسرعة ..
التفت حسين ليري تعبيرات آدم وفجأة صرخ آدم بشدة وقد تملكه الفزع ..

****

داخل غرفة الملك بالهرم الاكبر امام التابوت تماما وقف ذلك الرجل بعباءته السوداء الفضفاضة وعلي وجهه غضاء لا يبدي سوا عينيه وشفاتيه ممسكا بيده مصباح بدائئ وامامه وقفت هي ف خشوع وسكينة

- هيا يمكنك فعلها الان فانتي تحتاجينها بشدة .

قالها الرجل وهو يشير إلي تابوت الدفن فنظرت إليه متوترة فربض علي كتفها مطمانا اياها وهو يردف قائلا :

- اغتنمي تلك الفرصة التي ما كانت لتسنح لاحدنا قبل شهور لولا ما تمر به البلاد فهو حتمنا سيعطيك القوة الازمة ....

في هدوء نزعت ملابسها تماما واتجهت ترقد داخل التابوت وصوت الرجل الاجش يتابعها :

- انه بلا شك اعظم مصدر للطاقة عريفته البشرية والتي نحن ف اشد الحاجة إليها قبل ان تحين اللحظة التي ستغير التاريخ .

ازدلت عينيها وضمت يدها علي صدرها بشكل متقاطع كوضع المومياء المعروف وراحت في غياهب الذكريات منذ قابلت ذلك الشاب خريج جامعة (يال) الامريكية والذي تعلمت علي يديه مدى الظلم الذي شهده التاريخ ضد هذا المخلوق الذي تحمل كل الاخطاء وبشاعه الجنس البشري ..

****

5

إقترب الوحش من الطفل الذي انكمش تماما في فراشه يجذب غطاءه على نصف وجهه وفرائصه ترتعد بشدة كانت عينا الوحش الدموية وقرنيه الكبيرين ونابين يطلان من بين شدقيه جعلتا الطفل يصرخ لكن دون جدوى فصوته لا يفارق حلقه حتى وضحكة شيطانية تصدح في الغرفة المظلمة وصوت مخيف يقول أنت لي حتما و .....

انتفض أدم ليستعيد وعيه فجأة وهو يتصبب عرقا وألام مبرحة تضرب كل نقطة في جسده ...

كان الحادث الذي تعرض له مع الضابط مروعا عندما ظهرت فجأة أمامهما تلك السيارة الرياضية الصغيرة فينحرف الضابط بسيارته بشدة فتنقلب رأسا على عقب وغاب أدم عن الوعي بعدها تماما ...
دون شعور منه أصدر أنات خافتة من تأثير ألامه قبل أن يفتح عينيه ليجد نفسه مستلقيا على فراش صغير داخل حجرة ضيقة بعض الشيء ..
حاول أن يتماسك نفسه للنهوض من موضعه لكن عضلاته رفضت الأنصياع له مما عرضه للسقوط مرة أخرى على الفراش .
فتح باب الغرفة ليجد أمامه من خلال رؤية مشوشة شابة في منتصف العقد الثالث طويلة ممشوقة القوام شعرها طويل مهذب في عناية أسود حالك بنية العينين متسعتهما , ترتدي جينز أزرق يبرز تضاريس جسدها وتي شيرت خفيف قصير يصل بالكاد إلى خصرها ..
نظر إليها أدم وهو يحرك رأسه بجهد محاولا اكتشاف ذلك المكان الغريب وهو يتسأل من هذه الشابة الجذابة ؟؟!!

اقتربت منه الفتاة بهدوء وهي ترسم ابتسامة تسلب الألباب ومدت يدها دون أن تنبس ببنت شفة تطمئن على وضع ضمادة أعلى حاجبه الأيمن ..
شعر موضع الجرح بوغزة خفيفة جعلته ينتفض في مكانه
– أسفة هل ألمتك ؟؟
كان صوتها هادئا تماما مثل هيئتها فهي من ذلك النوع الذي تخال نفسك تعرفه رغم أنها المرة الأولى التي تلتقيه ..
– أين أنا هل هذه مشفى ؟!!
– ليس تماما .
ابتسمت ابتسامة مداعبة في حين عقد أدم حاجبيه قائلا :
– لا أفهم ؟؟!!
– أنت في منزلي .
– ومن أنتي وكيف جئت إلى هنا وأين الضابط و .....
أشارت براحة يدها ليصمت قليلا وهي تضحك بعذوبة وقالت :
– مهلا مهلا الجميع بخير ولكن أنت متعب فارتاح قليلا وبعدها ستعرف كل شيء ..
كان حديثها يبعث على طمئنينة عجيبة جعلت خدرا يضرب في أوصاله يسقط في أعماق الغيبوبة .....

****

اختفت ليليت بين الحشود من المقنعين تنتظر دورها في هذا الطقس الغريب فلقد تقدم كل فرد من الأفراد ليتناول جرعة من السائل الأحمر القاني من الجمجمة التي استخدمها الكاهن الأكبر ليناول رعيته من على صخرة عالية اتخذها فيما يشبه منصة وعظ

وبالأسفل رسمت دائرة كبيرة يتوسطها نجمة خماسية وإلى اليسار وقف مساعد الكاهن بزيه المشابه وقنعاعه القماشي وطرز على صدره جمجمة يتقاطع بأسفلها عظمتين للساق ...

بعد انتهاء الجميع من هذا الطقس اتخذوا أماكنهم ليشكلوا حلقة حول الصخرة والنجمة وبصوت مهيب أخذ الجميع بصوت واحد في الانشاد فيما يشبه ترنيمة مقدسة بصوت رتيب لمدة زادت قليلا عن الدقائق العشر قبل أن يشير كاهنهم بصولجانه الذي تعلوه الجمجمة النحاسية فيسود صمت مهيب فجأة وشخصت الأبصار في خشوع إليه فاستدار بوجهه تجاه الهرم كأنما يخاطب نفسه بصوت جهوري :

-- أيها النور لهذا العالم متى تتجلى إلينا في جبروت جبروتك لتسحق هذا العالم المظلم ...هنا عند هيكلك المبارك يسجد رعيتك ..

هنا خؤ الجمع سجودا متوجهين للهرم الأكبر . في حين أردف الكاهن متمما صلاته :

-- جئناك واهبين لك أرواحنا وأجسادنا لنطفيء بها نيران الجحيم المستعر ..

انطلق من بين الحضور فجأة صوتا أنثويا يتلو ترنيمة حملت كل معاني عقيدة الجمع ..

لساعة كاملة استغرق الجميع في صلاة خاشعة قبل أن ترتفع موسيقى البلاك ميتل ويتحول الخشوع إلى رقص هيستيري وزجاجات الخمر تتطاير في كل اتجاه ..

ألقى الكاهن نظرة سريعة على رعيته قبل أن يشير اشارة خفية ل ليليت التي لم تنخرط في هذا الطقس الراقص فتتجه مباشرة في خطوات ثابتة الى نقطة نائية كان قد سبقها إليها الكاهن فألقت

بنظرة سريعة كأنما تتأكد أنه لا أحد يتبعها ..
-- ليسوا مستعدين بعد ..
قالها الكاهن وهو يلقي بدوره نظرة على حالة الجنون الذي سيطر على الأتباع مع الموسيقى السوداء ..
أومأت برأسها موافقة فأردف قائلا :
-- لهذا أختارك السيد من بين الجميع لتنالي هذا الشرف العظيم ..
-- وأنا على أتم الإستعداد ...
ابتسم الكاهن في هدوء وربض على كتفها قبل أن يستدير وصوته يتخذ عمقا غريبا ويقول :
-- الأن اقتربت لحظتنا والتي انتظرناها منذ قرون عديدة ولم تتبقى سوى خطوات قليلة ..
___ ما الخطوة التالية ؟
-- يجب لأن نصل إلى السر .
_ لقد مات أخر مفتاح !!!
_ نعم إن هؤلاء القوم يموتون من أجل سراب !!!
التفت اليها وهو يدس ورقة صغيرة في يدها وهو يستطرد قائلا:
-- هو حقيقة ياعزيزتي وليس سرابا اتبعي هذا وصوف تصلين حتى ننهي المهمة ..
تناولت الورقة وألقت نظرة سريعة على ما خط فيها مستعينة بضوء المشاعل المتراقصة ومزقت الورقة لعشرات النثائر الصغيرة قبل أن تزرها في الرياح ..
كان الرجل يتابعا بنظرة ملأها الإعجاب والتقدير وابتسامة ارتسمت على شفتيه من خلف قناعه تنبيء عن رضاه التام عنها فكم كانت ليليت دائما تبهره بثورتها وحماستها وجمالها فهي حقا تلك القديسة

التي ينتظرها سيده لتكون الشريكة الأنثى فهي حقا تحمل بين طياتها دماء ليليت المباركة متجسدة في هذه الفتاة ...

****

للمرة الثانية استعاد أدم وعيه ليجد نفسه مازال في هذا الفراش الصغير داخل الغرفة الضيقة المرتبة ليبدأ عقله في العمل مرة أخرى محاولا استعادة الأحداث في تلك الليلة بدءا من زيارة مفتش المباحث حسين وحتى حادث السيارة ليفتح عيناه فيجد نفسه في هذه الغرفة ..

كانت الصورة في رأسه لازالت مهتزة ولكنه استطاع أن يتذكر ملامح ضبابية لتلك الفتاة التي فتحت عليه الباب قبل سقوطه مرة أخرى في فيبوبته الأخيرة .

بذل مجهودا مضاعفا مع ذلك الدوار الذي ضرب رأسه بشدة وهو يتكيئ على حافة الفراش محاولا النهوض مستعينا للحول دون سقوطه بحائط قريب نقل إليه يده بسرعة واستطاع أخيرا الوصول إلى باب الغرفة وكاد أن يفتحه لولا أنه شعر ببرودة مفاجئة ليكتشف أنه عاري سوى من سروال داخلي قصير اضطرب بشدة وهو يبحث بعينيه المشوشتين عن شيء لارتداءه حتى عثر على معطف استحمام نسائي لكنه كان كافيا بالنسبة له في هذه اللحظة ..

قبل أن يصل مرة أخرى شعر بمقبض الباب يدور ليفتح وتظهر أمامه أجمل امرأة شاهدها في حياته مما جعل قلبه يرتعد فجأة وهو يرى ذلك الثغر الباسم والشعر الأسود المنسدل كستائر صنعت من الليل على عاتقيها يحيط عنق بدا كأنه منحوت من العاج الخام

حالا وعيناها البنيتين تشعان بريقا عجيبا كأنما هي تعويذة ساحر وضع فيها كل علومه وقدراته السحرية ...
طويلة القامة نحيفة غير أن قوامها منحوت المعالم فنحولتها لم تؤثر على جسدها المتناسق ..
لم تنبس ببنت شفة فقط تقدمت اليه واحاطته بزراعيها في هدوء ليتكئ عليها فيخرجا الى صالة صغيرة مكونة من أريكتين متفاوتتا الحجم وفوتيهين صغيرين ومن نظرة سريعة استطاع تحديد أن الشقة لا تحتوي سوى على غرفة نوم واحدة وهذه الصالة ومطبخ صغير مفتوح على الصالة وباب ضيق علمه من فوره أنه حمام ..
كانت بقايا فراش موضوعة على الأريكة الكبيرة مما يشيرأنها استخدمتها للنوم عندما تخلت له عن حجرتها الوحيدة ..
جلس أدم على أحد المقاعد فنظرت اليه مبتسمة قبل ان تتجه مباشرة إلى المطبخ ..
لمح أدم حاسوب نقال موضوع على المنضدة الوحيدة وقد تبعثرت حوله بعض الأوراق تذكر من فوره بحثه الذي ظنه سيصل به إلى هدفه ليكون كاتب شهير لكنه وجد نفسه فجأة أمام ضابط شرطة يوجه له اتهاما مباشرا بالقتل ليستفيق فيجد نفسه في هذه الشقة مع هذه الفتاة !!!!
عادت الفتاة تحمل صينية صغيرة فوقها عددا من الساندوتشات وكوبا من عصير الليمون ..
-- ألا توجد قهوة ؟؟؟
ابتسمت كعادتها في هدوء :
-- أعتقد الليمون أفيد لك الأن لمعالجة الدوار الذي تشعر به..
-- كيف علمتي أني أشعر بدوار ؟؟؟!!!!!

-- أنت مصاب بارتجاج بسيط في المخ وحتما يصحبه دوار..
كان مندهشا بشدة .
-- هل أنتي طبيبة ؟؟؟
-- ليس تماما
-- ماذا تعنين ؟؟؟
ضحكت حتى برزت ثناياها
-- لقد خضت دورات في علاج الاسعافات الأولية ..
-- وماذا أتى بي إلى هنا ومن تكونين ؟؟؟!!!!
-- أنا من ساعدتك للفرار من هذا الضابط ..
تذكر فجأة الأصفاد التي كانت بيديه فنظر اليهما لكنها فهمت بسرعة ما يدور في خلده ..
-- لقد نزعتهما عنك ..
-- كيف ؟؟؟
-- بعض الخبرات الصغيرة ..
ارتفع حاجباه دهشة وقد شعر بانجذاب نحوها ونداء داخلي يدعوه للثقة فيها
-- ولكن كيف وصلت الى هنا ؟!!!
ضحكت مرة أخرى وقالت :
-- الحقيقة كنت في طريقي اليك عندما سمعت الضابط معك في الشقة مما اضطرني للانتظار في سيارتي لاجده مصاحبا لك والأصفاد في يديك ففهمت انه قبض عليك ففكرت في اصطناع ذلك الحادث ..
قفزت مقلتاه وهو يتصور ذلك المشهد وهي تقطع الطريق بسيارتها فتنحرف سيارة الضابط حسين بشدة وتنقلب !!!

-- أعرف أن الأمر كان خطير جدا
-- فقط خطير ؟؟؟!!! ... كان يمكنك قتلنا وتقتلي نفسك !!!
مطت شفتيها وقالت :
-- وجدته وقتها الحل الأمثل والحمد لله نجح الأمر ..
-- ولكن ما هو دافعك لتكبد مشقة مثل هذه المغامرة ؟؟؟
-- أنا يارا مختار الشامي بنت الدكتور مختار الشامي ...

****

في أحد المستشفيات الحكومية استعاد حسين مفتش المباحث وعيه بصعوبة ليضرب الألم عظامه بشدة وذراعه الأيسر ...
كان الضابط الشاب هشام يقف أمامه مباشرة ..
-- حمد لله على سلامتك ..
قال حسين بصوت متهدج :
-- أين أنا وماذا حدث ؟؟
-- حادث سير واصابات بسيطة و.....
تردد هشام لحظات فقال حسين بصرامة
-- و ماذا ؟؟
-- هل تتعاطى المخدرات ياسيادة المفتش ؟؟
قالها الطبيب الذي دخل في هذه اللحظة وهو يتناول مباشرة معصم حسين لقياس النبض في حين تعجب الأخير من حديث الطبيب
-- مخدرات !!! أية مخدرات ؟؟
-- لقد وجدنا في دمك أثار مادة مخدرة مما يعني أنك تعرضت للتخدير ..
صمت حسين وهو يحاول استيعاب ما قاله الطبيب الذي أنهى

فحصه سريعا وخرج ليصرخ فجأة :
-- أدم أين أدم ؟؟؟؟
ارتفع حاجبا هشام بشدة وهو ينظر الى حسين
-- من ؟؟
-- ذلك الصحفي لقد كان معي في السيارة لقد ألقيت القبض عليه ..
نظر هشام في ركن الحجرة حيث يقف رجلا نحيل في منتصف عقده الرابع شاحب الوجه لم يكن حسين قد لاحظ وجوده من قبل ..
-- هل رأيت أي شخص أخر في السيارة بعد الحادث ؟؟
اضطرب الرجل وهو يهز رأسه نفيا ..
حاول حسين أن ينهض وهو يقول بعصبية
-- يجب أن نتحرك بسرعة ..
اعترضه هشام برفق :
-- رجاء لا تتحرك فالطبيب لم يوافق عللى خروجك بعد ..
اغتاظ حسين بشدة إلا أن ألامه منعته من الحركة ورغم ذلك قال صارخا :
-- لا وقت لدي للرقاد فهناك مجرم طليق الأن ..
-- حسننا سأحضر الطبيب ..
انصرف هشام مسرعا في حين ظل ذلك الرجل الغريب متحجرا في مكانه فنظر إليه حسين الذي لم يكن يعرفه حتى :
-- ما اسمك ياسيدي ؟؟؟
-- مهندس محمود شريف ..
-- هل أنت من أنقذني ؟؟
أومأ الرجل برأسه مجيبا في حين أردف حسين قائلا :

-- لا أعرف كيف أشكرك حقيقة ؟؟
-- لا شكر على واجب ياسيادة المفتش ولكن هل يمكنني الانصراف الأن فلقد قضيت ليلتي كلها هنا ؟؟
ابتسم حسين بصعوبة وحاول أن يكون لبقا :
-- حتما ستذهب ولم يكن هناك داعي لوجودك حتى الأن ولكن كرجاء أخير لتخبرني بما حدث وما تعرفه ..
تنهد الرجل بضيق وهز كتفيه :
-- لا بأس لقد كنت في طريقي الى منزلي بسيارتي وعلى الجانب الأخر لمحت سيارتك مقلوبة رأسا على عقب بالقرب من جزيرة الطريق وعندما اقتربت وجدتك ملقى بعيدا عن السيارة بعدة امتار قليلة وعلى مقربة مسدسك وعندما وجدت بك نبضا نقلتك الى سيارتي واحضرتك الى المشفى ...
فكر حسين في ما سمعه مليا قبل ان ينظر الى الرجل مرة أخرى :
-- أعذرني سيدي على سماجتي ولكن ألم تلحظ على مقربة من الحادث سيارة أو شخص أو أي شيء غير مألوف ؟؟؟
شرد الرجل قليلا وهو يحاول تجميع أفكاره قبل أن يقول :
-- حقيقة كان الوقت متأخر جدا من الليل والمارة والسيارات أمر نادر في هذا الشارع كما أن انشغالي بك لم يمهلني لملاحظة أي شيء .....سوى ...
انتفض حسين بسرعة من مكانه وقد جحظت عيناه بشدة وخلجات جسده كلها تنتفض بشدة :
-- سوى ماذا ؟؟
-- نعم .. نعم .. كانت هناك سيارة قابلتني قبل أن أراك بمسافة

قليلة من نفس اتجاهك كانت مسرعة جدا ولعله أمر غريب أن لا تراك فسيارتك كانت مقلوبة بعرض الطريق ..
-- ما نوعها ولونها ومن كان يقودها ؟؟؟
توتر الرجل بشدة وتلعثم كأنما ندم على ذكر مثل هذا الحديث الذي بدا كأنه لن ينتهي خاصة مع ضابط مثل حسين لكنه قرر أخيرا أن ينهي الأمر
-- أعتقد ياسيدي كانت سيارة رياضية صغيرة داكنة اللون كانت تقودها فتاة وما لفت نظري سرعتها وضوءها العالي كاد يفقدني الرؤية ..
-- الا يمكنك تذكر تفاصيل أخرى ؟؟
-- ربما هي من ماركة كيا هذا كل ما أتذكره ياسيدي صدقني ..
ابتسم حسين ابتسامة هادئة امتص بها توتر الرجل المجهد وقال :
-- حسنا يا بشمهندس يمكنك الرحيل الأن فهذا يكفي يكفي جدا .. جدا ...
****

ارتسمت علامات الحزن العميق على ملامح يارا وهي تنظر الى أدم الذي بدا صامتا رغم جميع تساؤلاته التي لا تجد اجابات حتى هذه اللحظة :

-- أنا ابنة الدكتور مختار ..

شعر أدم بصعقة تسري في جسده عندما سمع جملة يارا فكل الاوساط تقريبا لم تأتي يوما على ذكر أبناء للدكتور ولاسيما بنت ..

لم تنتظر يارا كثيرا لتوضح لأدم قائلة :

-- أعلم جيدا أن لا احد يعلم ان للدكتور مختار ابناء صدقني ولا انا حتى عدة شهور قليلة مضت ..

-- كيف هذا ؟؟!!!

اسمي المدون في اوراقي هو يارا عبد الجليل وقد نشأت لا أعرف لنفسي سوى أب واحد هو دبلوماسي مصري قضى معظم حياته في أوروبا حتى فاجأني بهذا الاعتراف الخطير على اعتبار انه يجب ان اعرف هذه الحقيقة واخفف عليه ثقل تلك الأمانة ...

كان عقل أدم يرفض بشدة هذه القصة السينمائية إلا أن الصدق والدمعات التي تلرقرقت من عينيها جعل قلبه يخفق مصدقا على روايتها :

-- ولكن ما الذي يجعل رجل مثل الدكتور مختار يترك ابنته لرجل أخر ؟؟!!!

-- هذا بالضبط ما حيرني لوقت طويل مما جعلني أمر بحالة نفسية شديدة التعقيد وهذا ما أبطأ محاولتي الأتصال بوالدي الأصلي لعلي أجد جوابا شافيا وحضرت الى مصر فعلا ولكنني لم اقابله

مطلقا ..
تسللت دمعات رقيقة على خديها مسحتها بأطراف أناملها وصمت استمر لدقيقة واحدة قبل ان يسألها :
-- وما منعك من مقابلته ؟!!!
-- عندما اتصلت به شعرت بفزعه عندما علم بوجودي هنا وكأنما صاعقة من السماء سقطتت توا على رأسه ومضطرا مع الحاحي وافق على موعد على ان يكون في أحد الكافيهات وكان موعدنا تلك الليلة التي قتل فيها فكان الموت أسرع اليه مني ..
قال ادم بثورة واضحة:
-- ولكن هل تعتقدي ان هذا مبرر لانقاذ المتهم الاوحد بقتل ابيكي ؟؟؟!!!
-- الامر بسيط قبل الموعد بنصف ساعة تقريبا جائتني رسالة عبر الميل الخاص بي من والدي تطلب مني عدم محاولة الاتصال به حتى يقوم هو بذلك حفاظا على سلامتي وفي حالة حدوث شيء ما علي البحث عنك وان علي الثقة بك ..حقيقة لم أكن اعلم ما هو الشيء الذي قد يحدث ولكنني اعتقد أنه ما حدث فعلا وهو قتله ...
ازدادت الأمور تعقيدا في في رأس أدم وهو يحاول رسم خيوطا مترابطة بين كل هذه المعلومات العشوائية في حين قاطعته هي قائلة :
-- ولكنني توترت فقررت الغامرة والذهاب اليه وعلمت بمقتله مما اثار الفزع داخلي وهنا كان علي التوجه لأحدهم ولم يكن عندي سوى انت وثقة أبي بك وكان ما حدث من أمر الضابط والحادث ....
-- هل توجد سجائر ؟؟؟

-- علبتك موجودة ولكني انصحك بعدم ال....
-- رجاء احتاج اليها بشدة الأن ..
-- مطت شفتيها ..
وذهبت لتعود ومعها علبة السجائر.
التقطها بشغف كبير ليشعل سيجارته ويلقي بظهره للخلف وهو يستحلب النيكوتين بشراهة ..
-- هل يمكنك ان توضح لي أنت ما يحدث ؟؟؟
اعتدل في مقعده وهو ينفث دخان سيجارته بعمق وقال :
-- بدأت القصة بانشائي مدونة تدور حول تاريخ المنظمات السرية ...
-- منظمات ؟؟؟
-- نعم مثل فرسان الهيكل والماسونيين وغيرهم كما أن شغفي بالأساطير القديمة جعلني أستطيع الربط بين بعض هذه المنظمات واصولها الأسطورية ..
-- وكيف يمكن الربط بينهما ؟!!!
-- العلاقة شديدة الصلة فكل هذه المنظمات رغم مظهرها الحضاري الا انها ترتبط بخرافات واساطير قديمة جدا ولعلكي تربطين مثلا بين الهرم والماسونية وعين حورس عند قمة الهرم وحورس هو ابن الالهين أوزيس وأوزوريس وهم اسطورة فرعونية قديمة ومشهورة لعلكي سمعتي عنها ؟
أومأت برأسها موافقة قبل أن تقول :
-- كلامك منطقي فعلا لكن ما علاقة كل هذا بوالدي وسر تورطك في هذا الأمر ؟!!!
سحب نفسا عميقا من سيجارته قبل أن يقول :
-- بدأ الأمر عندما بدأت النشر في مدونتي حول بحث شخصي

ولسبب ما لفت انتباه والدك وبالفعل جرى بيننا عدة اتصالات عبر البريد الالكتروني تطور لعدة اتصالات ومن شدة اهتمامه كان يرسل الي بعض الروابط لابحاث حول نفس الموضوع ..
-- وما و هو هذا الموضوع الذي اثار انتباهه ؟؟!!
-- انه المنتظر ....
****

هناك عدة أماكن لتأجير السيارات وكلها تقريبا تمتلك سيارات رياضية الكثير منها قاتم اللون .
كان هشام ذلك الضابط الشاب يجلس قبالة المفتش حسين الذي ظل منتبها لتلك المعلومات التي توصل إليها الأول قبل أن يصمتا لبرهة في حين أشعل الأخير سيجارة تنفث دخانها ليرسم به حلقات متصاعدة مضى يراقبها وهو يدير الأمر في رأسه فحتى هذه اللحظة ليست لديه معلومة محددة بل كلها معلومات قد تنطبق على مئات السيارات فترى كم سيارة رياضية صغيرة قاتمة اللون تسير في طرقات القاهرة وحدها ؟!!!
حتى المعلومة الوحيدة المحددة أن قادتها أنثى لا تغير من الأمر شيئا مطلقا فالسيارات الصغيرة هي المفضلة لدى النساء ولو أن هناك خيط رفيع واهن يقلل دائرة البحث الى مئات السيارات بدلا من الألاف انها ماركة السيارة التي يرجح شاهده أنها من ماركة "كيا" ...
-- ما السبب الذي يدفعك للاعتقاد أنها مستأجرة وليست سيارة خاصة ؟؟!!!
ابتسم حسين في خبث قبل أن يقول وهو يغمز بعينه :
-- حس بوليسي ياعزيزي .

هز هشام كتفه غير مقتنع في حين أردف حسين قائلا وهو يحاول التمسك بأي طرف خيط قد يقوده :

-- هل استطعت تحديد قائمة بمستأجري هذه السيارات ؟؟؟؟

لأول مرة يشعر هشام أمام رئيسه بهذا الفخر لاتخاذه خطوة تسبق تعليماته فابتسم :

-- بالطبع نعم .

-- هات ما عندك ..

-- أجمع أغلب أصحاب المعارض أن مثل هذه السيارات ليس عليها اقبال في مقابل السيارات الكبيرة الحجم ..

استطاع جذب انتباه حسين الذي اعتدل في مكانه في حين اخرج هشام ورقة مطوية ناولها للأول :

-- وهذه قائمة بمن قاموا باستئجار سيارات مماثلة خلال الايام الثلاث الماضية من المكاتب الأشهر ...

فتح حسين الورقة ليلحظ عدة أسماء تم شجبها فأشار إلى هشام قائلا

-- لماذا حذفت هذه الأسماء ؟؟؟؟

ابتسم هشام قائلا :-

-ـ إنهم قاموا بارجاع السيارات قبل موعد الحادث مما يجعلهم مستبعدين تماما ..

أعاد حسين ناظريه إلى الورقة مرة أخرى لم تكن القائمة كبيرة فربما بها عشرين اسما أو يزيد قليلا فقط .

-ـ هل هناك ما أقوم به الأن ؟؟

قالها هشام وهو ينظر الى حسين الذي أخذ يتابع القائمة باهتمام ودون أن يرفع عينيه قال :

ـ لا يمكنك الرحيل الأن ..
خرج هشام مباشرة دون أن ينبس ببنت شفاة في حين ظل الأول يراجع تلك البيانات المدونة حتى استوقفه اسما بعينه فاخذ يعيد قراءته عدة مرات قبل أن يتناول قلما من فوق مكتبه ويضع ملاحظات في ورقة صغيرة ثم يضغط زر استدعاء الجندي الواقف عند الباب ليسمع طرقا بسيطا ثم يدخل ذلك الجندي بتحية عسكرية ..
ناوله حسين الورقة الصغيرة وقال بلهجة سريعة أمرة :
ـ اعطي الورقة للضابط هشام و أخبره أنني أريدها بسرعة ..
ما إن غادر الجندي المكتب حتى أشعل حسين سيجارته ونفث دخانها بعمق وعقله يتجه بعيدا جدا جدا .....

****

ـــ من منا ليس لديه منتظره الخاص ؟؟!! فالفقير ينتظر من يعطيه والضعيف ينتظر من ينصره ...
ـــ كلامك صحيح جدا لكن من أتحدث عنه هو ذلك المنتظر الأسطوري التي ماخلت ثقافة ما من احتواءها عليه بصفات تفصيلية في كثير من الأحيان والذي يأتي ليسود فئة بعينها على باقي الشعوب ..
بدا الاهتمام واضحا على معالم يارا وهي تقول :
ـــ هل تقصد المسيح ؟؟!!!
ابتسم أدم قبل أن يقول بخبث :
ـــ أو بوذا أو زردشت أو إزيس أو المهدي ..
ـــ لا أفهم ما تعني تماما ؟؟؟؟

ـــ حقيقة الأمر أن كل هذه أسماء لشخصيات غامضة ينتظرها شعب ما أو أصحاب ديانة ما ..
ـــ ومن تعتقد برأيك هو المنتظر الحقيقي ؟؟
تنهد أدم بعمق وقال
ـــ لا يمكنني الجزم بمثل هذا الأمر لكن ما أثق به من خلال بحثي وهو ما وافقني عليه والدك أن هناك حتما منتظر فليس من المصادفة أن يتفق الجميع على الأمر عينه دون أصل ثابت مؤكد غير أن الإختلاف يأتي من أن كل فريق يعتقد أنه صاحب الحق في انتصار المنتظر لهم ..
ـ هذا أمر طبيعي فمن أين تأتي المشكلة .
نفث أدم دخان سيجارته أمام امتعاض يارا التي بدا أن الدخان يزعجها .
ـــ تكمن المشكلة أن المنتظر ليس شخص ..
جحظت عينا يارا وسقط فكها السفلي فضحك أدم من مظهرها قبل أن تعقد هي حاجبيها غاضبة من سخريته ثم تقول بصوت مرتفع :
ـــ إن لم يكن شخص فماذا يكون إذاً ؟!!!
ـــ شخصان ...
ـــ ماذا ؟؟؟
اعتدل في جلسته وقد اتسم وجهه بالجدية وقال :
ـ إذا كان المنتظر يمثل قمة الخير والعدل ونهاية الشر فيجب أن يوجه بدوره مصدر الشر ويقضي على منبعه وهنا يأتي المنتظر الثاني الذي يمثل قطب الشر ..
ـــ الشيطان !!!!

ـــ ربما أو الدجال أو أمير الظلام أو ست ...إلخ
ـــ حديثك منطقي تماما الى الأن لكن تكمن المشكلة الكبرى الأن ما العلاقة بين كل هذا وبين ما حدث لوالدي ..
ـــ بقت نقطة واحدة يجب أن تعرفيها ففي الوقت الذي ينتظر الجميع المنتظر أو مختارهم المنقذ كذلك هناك فئة مثلها مثل الباقيين لكن المعضلة تكمن أن منقذهم هو نفسه قطب الشر في نظر الأخرين وهنا تأتي المواجهة مبكرة حيث بدأ أصحاب قطب الشر استعدادهم مبكرا لاستقبال منقذهم وتدبير الخطط اللازمة لتهيئة العالم لظهوره ..
استحلب مجة كبيرة من النيكوتين قبل أن يستدرك قائلا :
ـــ ونحن منذ قرون نرى هذه الاستعدادات ونكتفي بدور المشاهد فقط بل إن الأمر وصل بالبعض الاشتراك في هذه الاستعدادات عن جهل على مر التاريخ...
ـــ هل كان والدي أحد هؤلاء ؟!!!
ـــ مطلقا بل على العكس هناك مجموعة صغيرة توارثت المهمة على مر التاريخ لتوضيح الصورة وكشف الحقيقة للعالم ودائما ما كانت نهايتهم مأساوية ..
ـــ والدي أحدهم إذا ممن حاول كشف هذه المؤامرة ؟؟
ـــ نعم بل أكثر من ذلك لقد كان أحد الحراس السبعة ..

****

ألقت ليليت سيجارتها الرفيعة بعنف وهي تجلس داخل سيارتها على بعد عدة خطوات في مواجهة منزل أدم غاضبة وأصابعها الرقيقة تضغط زر الاتصال السريع في هاتفها النقال وما إن

تلقت الاجابة حتى قالت عبر سماعة البلوتوث الدقيقة في أذنها اليمنى :

ـــ الشرطة في كل مكان حول المنزل كأنها ثكنة عسكرية ..

مضت لحظات وهي تستمع إلى ذلك الشخص على الجانب الأخر قبل أن تقول

ـــ أنا في الانتظار على أهبة الاستعداد .

أنهت مكالمتها سريعا لتتناول علبة السجائر النسائية الطويلة وتشعل دخانها بعمق وترفع زجاج النافذة الداكنة لتختفي خلفه ماما في حين تستطيع المراقبة بهدوء ..

مرت دقائق قبل أن يدق جرس الهاتف مرة أخرى فتضغط زر الاجابة في سماعتها :

ـــ نعم ...

.....

ـــ حسنا أنا في انتظار التعليمات لقد سبقتنا الشرطة اليه ..

بهدء أدارت محرك سيارتها محدثا هدير خافت لتنطلق مبتعدة عن البناية المواجهة لمنزل أدم وعينا ضابط الحراسة من الجانب الأخر تتابع سيارتها حتى اختفت تماما فلم يعد يراها من موضعه أمام البناية

.....

****

ـ أعتقد الأن أننا أمسكنا بطرف خيط ..

قالها حسين وهو يطالع ورقة صغيرة في حين وقف هشام الذي بدا أنه قد أتم المهمة الموكلة به فظل مبتسما خاصة مع ملامح الرضا على وجه رئيسه .

تمتم حسين وهو ينظر إلى الورقة :
ـــ يارا عبد الجليل سائحة أوروبية من أصول مصرية !!!!!
ثم نظر إلى هشام متسائلا :
ـــ هل هي مصادفة أن تكون تلك السائحة تستأجر نفس نوع السيارة المستهدفة كما أن هناك رقم أجنبي قد اتصل برقم الدكتور مختار قبل أيام يعود لنفس الدولة التي تعود اليها جنسيتها !!!؟؟؟
هز هشام رأسه دون أن يعلق في حين أردف الأول مكملا :
ـــ تبقى النقطة الأهم والحلقة المفقودة ما هي العلاقة التي تجمعها بأدم وبالقتيل ؟؟!!!!
ساد الصمت للحظات قبل أن ينطبق جرس الهاتف الجوال لهشام مما جعل هشام يشير اليه بالانصراف وما إن خرج من الباب حتى ضغط زر الاجابة فورا ..
****

قالت يارا متعجبة :
ـــ لماذا تصر على العودة إلى شقتك وأنت تعلم خطورة هذا الأمر ؟!!
ـــ هناك متعلقات يجب أن أحصل عليها فهي حتما ستساعدنا كما أن هناك مظروف خاص أرسله إلي والدك قبل مقتله مع خادمه العجوز ..
ـــ وعلى ما يحتوي هذا المظروف ؟؟؟
مط شفتيه وقال :
ـــ نه مظروف ضخم لكني في الحقيقة لا أدري ما يحتويه لكن الخادم أكد لي أنه يحوي شيء خطير ..
ـ ترى ما قد يحتويه مثل هذا المظروف ؟!!!

ـــ أعتقد أنه أمر أراد الدكتور تمريره بعيدا عن أعين من يستهدفونه ولهذا يجب الحصول عليه بسرعة ..
كانت السيارة الرياضية تقطع شوارع القاهرة في حين ساد صمت عميق بين يارا وأدم الذي كان جل ما يتمناه ألا تكون الشرطة أو أي شخص أخر قد وصلت يديه إليه قبل وصوله ..
على بعد خمسين متر من منزل أدم توقفت يارا وهي تشير إلى مدخل العقار الذي اكتظ برجال الحراسة من الشرطة ..
تبادلا النظرات في طغت ابتسامة متعجبة على وجه أدم وهو يقول :
ـــ إنني لأعجب لهذا الضابط حسين برغم كم الجرائم التي ترتكب يوميا والانفلات الأمني الذي تشهده البلاد قد جعل مني قضيته !!!
ـــ لا تنسى إنك في نظره كدت تتسبب بمقتله على يدي ..
نظر إليها متفهما فهي قد أصابت كبد الحقيقة تماما حتما .
ـــ كيف ستصل إلى شقتك الأن ؟؟؟؟
سألته يارا وهي تشير بيديها إلى العقار والشرطة ..
كان أكثر ما يشغله هو أمر المظروف فحتما خضعت الشقة لتفتيش دقيق ..
لم يكن يعلم أن حادث السيارة تسبب في إبطاء الضابط حسين الذي شغله هروب أدم والبحث عمن ساعده ..
ـــ سوف ندخل إلى الشقة الأن ..
تعجبت بشدة وهي تنظر إليه مستفهمة
ـــ كيف !!!!!!
ـــ انطلقي الأن إلى الأمام بسرعة ..
دون تردد ضغطت دواسة الوقود لتندفع السيارة بشدة فقطعت مسافة المائة متر تقريبا قبل أن يصيح هشام :
ـــ انعطفي الى اليسار الأن ..

ضغطت يارا مكابح السيارة وهي تدير المقود بقوة مما جعل السيارة تطلق صريرا جعلهما يلتفتان بسرعة الى الخلف فلع الحراسة قد لاحظتهما وهما يدلفان بسرعة الى شارع جانبي ضيق يكفي بالكاد لمرور السيارة دون فتح ابوابها .... كان الشارع يمتد بمنحنيات شديدة الانحراف جعلت يارا تتمسك بمقود السيارة بشدة وقد كان صوت السيارة يتضخم عشرات المرات وسط ضيق المكان والهدوء المطبق على هذه الناحية ..

ـــ توقفي هنا .

دون تردد توقفت يارا في حين فتح أدم الباب واتجه ناحية باب حديدي يعلوه الصدأ ..

تبعته يارا في صمت وهي متعجبة

ـــ إنه مدخل خلفي للبناية كان يستخدم قديما للخدم قبل أن يمتنع الجميع عن استخدامه وربما نسيانه تماما وهو على عكس البنايات المحيطة الحديثة التي لا تحتوي على مثل هذا الباب ولكن بنايتنا قديمة جدا وقد ورثت شقتي عن والدي ..

كان أدم مازال بيديه معالجة الباب الصدئ العالق .

ـــ وهل تعتقد أنهم لم يلاحظوا مثل هذا الباب ؟؟؟

ـــ حتما لا لأن الباب عالق من الصدأ ..

ـــ هل ستتمكن من فتحه ؟؟؟

ـــ لقد كان أحد أفضل ألعابي وأنا صغير ..

لم يكمل أدم جملته حتى أصدر الباب قرقعة مكتومة ليعلن أنه فتح .

نظر إليها أدم وابتسم قبل أن أن يدفع بجسده من فتحة صغيرة تكفي بالكاد لمروره مبتدءا بكتفه ..

تبعته يارا بيسر أكثر حيث كانت نحيفة بعض الشيء لتجد امامها درجا حديديا ضخم صوت خطواتهما ..

ـــ احترسي لخطواتك من الفجوات .

ـــ انني أسير على خطاك .

صعدا في هدوء تام ماعدا ما كان يعكسه الدرج المعدني من خطواتهما حتى أشار اليها أدم بالتوقف أمام باب عرفت أنه باب يؤدي إلى مطبخ شقته فتحسس جيوبه وهويتمتم داعيا أن يكون المفتاح معه خاصة أن مفتاح هذا الباب لم يستخدم منذ سنوات طويلة جدا ..
أخرج حلقة مفاتيحه وعلى ضوء شاشة هاتف يارا تفحص جيدا لتتهلل أساريره وهو يلوح بالمفتلح قبل أن يدفع به في الفجوة المخصصة لتصدر قرقة صغيرة ويفتح الباب ...
****

وقف العقيد حسين بوسط صالة الشقة الصفيرة التي استلأجرتها يارا وهو يتفحص كل ركن فيها من خلال مكانه متابعا عملية التمشيط والتي لم تسفر عن شيء حتى هذه اللحظة فلقد كان قرار أدم ويارا حكيما في قطع أي علاقة بهذه الشقة منذ مغادرتهما لها قبيل وصول قوات الأمن مباشرة ..
تقدم شرطي من حسين قائلا :
ـــ الشقة خاوية تماما ليس هناك أس أثر لهما أو دليل يشير الى وجهتهما باستثناء هذا الشيء ..
مد يده الى حسين ليناوله قطعة معدنية صغيرة عرفها من فوره انها قلادة ذهبية يبدو أنها سقطتت من عنق أحدهم ولكن الملفت للنظر أنها لرمز ليست المرة الأولى التي يصادفه خلال تتبعه لهذه الجريمة فلقد كانت الجمجمة والعظمتين مطبوعتين على جسدي كلا من الدكتور مختار وكذلك الدكتور محمد جمال والذين قتلا والمتهم فيهما الصحفي الشاب أدم !!!
ثقلفة حسين لم تكن لتعي علاقة هذا الرمز الذي رادف الموت خلال هاتين الليلتين وذلك الشكل المعدني هناك الذي عثر عليه عند الدكتور حسين !!
لكن حسه الأمني ينبئه أنه ذات صلة وثيقة في تحديد هوية المجرم ..
قال حسين :
ـ أين وجدتها تحديدا ؟؟؟؟
أشار الرجل باتجاه سجادة تشغل أغلب مساحة الصالة بدءا من مقربة الباب وهو يتجه مباشرة إلى طرفها من اتجاه الباب ويرفع طرفها وهو يقول :
ـــ هنا تماما ..
ارتفع حاجبي حسين مندهشا ومسح ذقنه بأنامله كمن يفكر جيدا

قبل أن يقول :
ـــ هل الباب كان مغلقا عند حضوركم لأول لحظة ؟؟
اضطرب الرجل وهو يقول :
ـــ لا ... لا أتذكر جيدا فلقد كنا متحفزين للاقتحام ولكن أعتقد نه ...
اضطرب الرجل بشدة في حين ازدادت نظرة حسين صرامة وهو يكاد يخترق أحشاء الرجل الذي قال بصوت مرتعش :
ـــ نعم يا سيدي أعتقد أنه كان مفتوح ..
قال حسين بغضب :
ـــ كيف لا يمكنكم الانتباه إلى هذه النقطة الخطيرة ؟؟!!!
وازدادت نبرته ثورة وهو يقول :
ـــ إنكم لا تصلحون في الشرطة كلكم عشوائيون ولا عجب أن يستطيع ثلة من الأطفال أن يشعروكم بالرعبمن بعض الهتافات ..
كان الجميع ينظرون اليه وقد طأطأ بعضهم رأسه خجلا من قائدهم ..
اتجه حسين إلى الباب وتفحص لسان القفل جيدا قبل أن يقول كأنما يحدث نفسه :
ـــ هذا الباب تم فتحه من الخارج عنوة قبيل حضورنا بوقت قليل ...أحدهم زار الشقة قبلنا وهو حتما صاحب القلادة الرمزية ..
ساد صمت عميق على الجميع في حين ذهب تفكير حسين الى أبعد بكثير حيث المجهول ..
****

تفاجأ أدم بشقته كما هي فيبدو أن ذلك الضابط لم يقم بتفتيشها حتى الأن !!!
وبسرعة انطلق أدم إلى منضدة بالقرب من حاسوبه ليلتقط المظروف الأصفر الضخم وقد برزت عليه عبار " خاص جدا

للأهمية "
التقطه أدم بسرعة كما طوى شاشة حاسوبه النقال فصرخت يارا صرخة مكتومة
ـ لا ..لا
نظر اليها متعجبا في حين أردفت هي قائلة :
ـــ إنه خيط خطير يمكنهم تتبعه إذا ما اتصل بالشبكة .
هز رأسه موافقا وقال :
ـ حاسوبك يفي بالغرض علينا الرحيل بسرعة الأن .
كانت يارا تتجول ببصرها في الشقة التي لازالت أضواءها منارة منذ القبض على أدم فنظر إليها الأخير قائلا :
ـ هل أعجبتك ؟؟
مطت شفتيها وهي تحاول اخفاء اضطرابها ووجنتيها المحمرتين
ـ لا بأس بها بالنسبة لأعزب ..
ـغمز بعينيه وهو يقول :
ـ يمكنها أن تكون لك إن أردتي ؟
تحولت وجنتيها إلى لون الدم وهي تنظر إلى بوز حذائها في حين قالت :
ـ أعتقد علينا الرحيل الأن .
لم تكمل عبارتها حيث قد أيقظت أدم الذي كاد ينسى ما يمران به وخطورة تواجدهما هنا الأن ..
انطلقا مسرعين في نفس الاتجاه الذي استخدماه للدخول وما ان ثبتت أقدامهما على الدرج المعدني حتى سمعا
ـ أين تظنا نفسكما ذاهبان الأن ؟؟؟
كان الصوت مفاجأة جعلت الدماء تتجمد في عروقهما ...
****

لم تكن ليليت من النوع الذي يمكنه الاستسلام بسهولة ولوهلة أثناء زيارتها لشقة يارا أضاءت في رأسها فكرة عودة أدم إلى

شقته وهذا ما حدث تماما وباستخدام شبكة تحديد المواقع استطاعت أن تسلك طريقا مختصرة مكنتها من الوصول قبل أدم ويارا لتراقب من بعيد سيارتهما التي تعرفها من خلال المعلومات التي وفرها لها الكاهن الأكبر ورغم رغبتها في الاجهاز عليهما فور دخولهما الشقة غير ان تعليمات الكاهن كانت صريحة جدا أ ن احتمال وجود أغراض أرسلها الدكتور مختار لأدم تجبرها على الانتظار ولقد أصاب توقع الكاهن حيث ذلك المظروف الأن بين يدي أدم يشير إلى أهميته فما الذي يجعلهما يجازفان مثل هذه المجازفة إن لم يكن به سر خطير !!!

تجمد أدم ويارا على درج السلم المعدني وهما ينظران إلى فوهة المسدس في يديها ..

ـــ بهدوء ناولني المظروف الأن ..

قال أدم مماطلا ::

ـــ من أنتي وماذا تريدين ؟؟؟

ضحكت ليليت بشدة وهي تقول :

ـــ محاولة جيدة سيد أدم أنا القدر...

كانت ليليت من ذلك النوع الذي يصعب خداعه .

أمسكت يارا بكفه و ضغطت بشدة ..

ـــ أعطني المظروف الأن ..

مد أدم يده بهدوء بالمظروف إلى ليليت التي مدت بدورها يدها لتلتقط المظروف في حين أدار أدم راحة يده ليلتقط هو زند ليليت ليسحبها بقوة إلى الأمام فاختل توازنها فتسقط زاحفة على وجهها في حين تنحت يارا جانبا لتفسح لها المجال في السقوط وخلفها اندفع أدم مسرعا ليقفز من فوق جسدها الذي استر عند أسفل الدرج وخلفه مباشرة يارا التي شعرت بقبضة حديدية تتمسك بكاحلها الأيمن ودون تردد كانت قدمها اليسرى تطيح بوجه ليليت التي ترنحت بشدة لترتطم رأسها بالحاجز المعدني

للدرج ..
تجاوز الاثنان الباب المعدني القديم بسرعة من خلال فجوته الصغيرة مسرعين الخطا باتجاه السيارة الرياضية ليقفز أدم في موضع السائق ويضغط دواسة الوقود بقوة لتعود السيارة بظهرها من حيث دخلوا وبمهارة كبيرة انحنت السيارة مع انحرافات الشارع حتى كادا يصلا إلى الطريق الرئيسي لتصرخ يارا التي كانت تتابع الطريق ملوحة برأسها للخلف :
ـــ سيارة .... هناك سيارة
كانت سيارة ليليت تغلق الشارع أمامهما فجحظت عيناهما بشدة وبسرعة أهدرت محركات عقل أدم هذه المرة لتصدر أزيزا وهو يرى الموقف بسرعة ليتخذ قراره مسرعا تحركت يداه لتحرك ناقل الحركة للأمام وما تحركت السارة لخطوات حتى عادت عيناهما لتقفز من محجريهما وفوهة المسدس تواجه زجاج السيارة مباشرة وليليت تضغط الزناد ليدوي صوت الرصاص في هذا الزقاق ...
****

للمرة الأولى منذ تحقيقه مع أدم يدخل حسين شقة الأول ففي ظل الأحداث المتلاحقة السريعة لم يتسنى له تفتيشها كما جرت العادة فهنا حتما ربما يجد ما قد يفسر الكثير لكنه لنوبة أخرى يأتي متأخرا بخطوات ..
ضربت هذه الأفكار رأس الضابط حسين مفتش المباحث وهو يدلف إلى شقة المشتبه به الأول في جريمة القتل الأكثر غموضا والمتهم فيها أدم ذلك الصحفي الشاب الذي لم يرد أسمه في حتى مخالفة مرورية !!!
أقتلعه صوت طلق ناري مصدره قريب استطاع من فوره تحديد اتجاهه ليصدمه مشهد باب المطبخ الخلفي مما دفعه للانطلاق مسرعا ليجد نفسه أمام سلم معدنى أودى به لزقاق ضيق لم

يكن ليلحظه أبدا ..
ما إن وصل إلى الزقاق حتى سمع صوت صرير اطارات سيارة تنحرف إلى خارج الشارع من جهة اليسار " ياإلهي إنها السيارة الرياضية الداكنة " هكذا كاد أن يهتف حسين وهو يطلق لقدميه العنان محاولا اللحاق بالسيارة التي قد اختفت تماما ..
لهث حسين بشدة بين نوبة صغيرة من السعال وهو ينحني يتكأ على ركبتيه يحاول التقاط أنفاسه لتلتقط أذناه صوت محرك سيارة ولكن هذه المرة منجهة اليمين ...
دون تردد سحب هاتفه وضغط زر اتصال سريع :
ــ هناك سيارة سوداء تخرج الأن من زقاق حاول اعتراضها ..
كان الموقف بالنسبة لأدم ويارا شديدي التعقيد ما بين تلك السيارة التي تسد مدخل الزقاق وليليت التي أشهرت مسدسها أمامهما مباشرة لكن سرعة البديهة كانت ثمة مميزة لذلك الوسيم أدم الذي أشعل الضوء المرتفع بسرعة وهو يهتف انخفضي لتطيعه يارا في غمضة عين في حين عصرت قدمه اليسرى دواسة الوقود دون تردد مما جعل يد ليليت التي كانت قد ضغطت الزناد تنحرف وهي تقفز مبتعدة عن طريق السيارة التي أنطلقت كالسهم باتجاهها مع شدة الضوء الذي أفقدها الرؤية للحظات ...
وفي سيارتها كانت تعض ليليت على أناملها غيظا فكيف استطاع ذلك الرجل التفوق عليها فهي المرة الأولى التي يسستيع هدفا لها النجاة من بين براثنها !!!
لم يستطيع فرد الحراسة أمام العقار اللحاق بسيارة يارا التي انطلقت بسرعة صاروخية في نفس اللحظة التي تلقى فيها الأمر تماما لتختفي بعد لحظات بين السيارات في الشارع الرئيسي لتستدير وتعود محاولة اللحاق بسيارة يارا التي اتخذت الطريق المقابل فانحرفت بسارتها بين صيحات السيارات في الطريق مع

تعالي صفارا تانذار الشرطة التي انطلقت بدورها تطارد سيارة ليليت التي لم يشغلها الأمر كثيرا فكل ما كان يسيطر على عقلها هو الحصول على ذلك المظرو ف وذلك السر الأخير وبن أفكارها كان الألم يضرب عظام وجهها من جراء ركلة يارا مما يزيد الاحتقان بداخلها ..
كانت يارا التي لم تفتأ تنظر إلى الخلف تلاحظ تلك السيارة التي أخذت في الاقترا ب منهما أكثر وأكثر كذلك سيارات الشرطة التي أخذت في الاقتراب منهما بينما أدم الذي عقله يعمل بسرعة في محاولة لإيجاد مخرج من هذه المأزق وهو يتابع اقتراب مطارديه من خلال المرأة الأمامية ..
كانت يارا متوترة بشدة وهي تجلس تضم بين ركبتيها ذلك المظروف الأصفر الضخم في حين قال أدم كمن يخاطب نفسه :
ـــ أين يمكننا الذهاب الأن ؟؟؟
قالت كمن تحاول التفكير معه رغم صوتها الذي بث التوتر إلى أدم :
ـــ لقد ذكر لي والدي شيئا عن الاستعانة بدكتور محمد جمال في الحالات القصوى ..
ابتسم أدم بمرارة وهو يقول :
ـــ كان والدك يتوقع كل شيء ولكنه لم يتوقع أنهم سيصلون للدكتور جمال قبل حتى أن نفكر فيه ..
لم يبدو أن يارا قد استوعبت الأمر وهو يدير المقود بقوة محاولا الانحراف إلى أحد الطرق الفرعية في حين قالت هي :
ـــ ماذا تقصد ؟؟؟
قال وهو يضرب بقبضته على المقود :
ـــ لقد قتلوه ..
ـــ من هم ؟؟!!!
ـــ من قتلوا والدك وحتما من أطلقوا علينا النار منذ دقائق ..

ـ هل تقصد الفتاة ؟؟!
ـــ بل من أرسلوا الفتاة .
ساد الصمت في السيارة في حين أظهرت المأة أن سيارة ليليت تقترب منهما بشدة من جهة اليمين في حين كان هو يلتزم اليسار تماما وفجأة صرخ فيها :
ـــ تمسكي ..
لم يكمل كلمته حتى ضغط مكابح السيارة بشدة وهو يدير المقوط بكل قوته حتى خيل إليها أنه سيقتلعه من مكانه لتدور السيارة مائة وثمانين درجة كاملة ليرفع قدمه من المكابح ليضغط دواسة الوقود فيعتصرها وتنطلق السيارة عكس اتجاه السير مما سبب اضرابا شديد بين المارة خاصة بعدما حاولت سيارة الشرطة نفسها وجها لوجه مع أدم الذي بدا مصرا على خط سيره مما اضطرها لتفاديه مما جعلها تصطدم بشدة بسيارة أجرة كانت قادمة من الخلف فتنحرف بشدة ثم تتوقف تماما عن الحركة ..
وللحظات ظن أدم أنه نجا من المطاردة لكنه لمح سيارة ليليت تقترب مرة أخرى منهما ..
ـــ مال هذه المرأة لا تيأس أبدا ..
لم يكمل جملته حتى شعرا باهتزاز سيارتهما فليليت قررت الأن أن تستخدم العنف وبدأت بسيارتها القوية اجبارهما على التوقف أو قتلهما معا ..
كان أدم يضغط الوقود بشدة لكن محرك السيارة الصغيرة لم يكن مؤهلا لمنافسة مثل هذه السيارات ذات المحركات الألمانية الشهيرة وعند تقاطع صغير يسمح للسيارات بتغيير وجهتها وجد أدم ضالته وما إن اقتربت ليليت لتصدمه مرة أخرى حتى أدار مقوده جهة اليمين وببراعة فائقة يعيده إلى اليسار فيكون بنهر الطريق ذو الاتجاه المعاكس وقبل أن تستطيع ليليت وجهتها كان قد انحرف في طريق جانبي فيختفي تماما من أما عينا ليليت

التي توقفت فجأة مسببة جلبة في الطريق وهي تضرب المقود بقبضتيها وتصرخ بعصبية :
ـــ اللعنة ...
ثم أخرجت هاتفها وما تلقت الإجابة قالت بصوت مقهور :
ـــ لقد فرا ..
كان الصوت الأجش يكاد لا يسمع وهو يقول :
ـــ سنجدهما ارحلي الأن قبل مجيء الشرطة ..

****

شعر أدم بارتياح وهو ينظر إلى المرأة ليتأجد من توقف مطارديه في حين ظلت يارا متجهمة بشدة فنظر إليها نظرة سريعة قبل أن يقول :
ـــ نحن بخير الأن لا تقلقي ..
نظرت إليه ليلمح دمعة صغيرة تسللت غصبا عنها من عينيها فعقد حاجبيه وهو يقول :
ـــ لماذا تبكين ألا تثقين بي ؟؟!
ـــ بل ما آل إليه الحال من حياتي حيث فجأة أكتشف أن لي أبا وقبل أن أراه يقتل ويجب أن أثق في من أتهم بقتله ثم أجد نفسي مطاردة من قاتلة مجنونة وشرطة تظن أننا متورطان ألا يشعرك هذا ببعض الأرق والقلق ؟!!!
مد يده بحنو ومسح دمعاتها وهو يقول بصوت هاديء :
ـــ إن الأقدار هي من وضعتنا هنا وهي حتما لديها حكمة أكبر ..
نظرت إليه بعبوث :
ـــ وهل تثق في هذه الأقدار ؟؟!!
رفع حاجبيه مندهشا :
ـــ بكل تأكيد فكل ما حولنا وما بنا مقدر ومكتوب وليس لنا طاقة بتغييره قيد أنملة ..

ابتسمت بسخرية :
ـــ لهذا تراجعتم بين مصاف الأمم وتخلفتم عن ركب التقدم !!!
هز رأسه نفيا وقال بحزم :
ـــ هذا ما يحاولون السيطرة به على عقولنا وبثه فينا حتى نترك ثقافتنا وحضاراتنا ونكون تابعين خاضعون ..
ـــ لكن هذه هي الحقيقة أنتم متأخرون ..
ـــ ليس بسبب معتقداتنا بل لأننا تركنا معتقداتنا وثقافاتنا فعندما كنا نتمسك بهما كنا سادة العالم ولكن قوى الظلام استطاعت أن تخترق عقولنا وصفوفنا ووقفت حائلا دون عودتنا ولذلك أهداف أسمى فعودتنا تعني انهيار الدولة السفلية لقد كانت منطقتنا مفتاح التاريخ وستظل ..
مطت شفتيها كمن لم يعجبه الحديث فقررت تغيير دفة الحديث :
ـــ أين سنذهب الأن ؟؟
صمت برهة قبل أن تتهلل أصاريره فجأة وهو يقول :
ـــ وجدتها ..
ـــ أين ؟؟
ـــ أخر مكان يمكنهم العثور علينا فيه ...
****

ـــ علينا أن ونتحرك بسرعة فالوقت يداهمنا ..
قالها الكاهن الأكبر الذي استدار إلى نافذة زجاجية في حين وقف خلفه شخص لم تتضح ملامحه من انعكاس الضوء القادم من النافذة في حين قال ذلك الشاب :
ـــ وماذا يمكننا أن نفعل الأن أكثر مما فعلناه فهذا الصحفي كالقطط بسبعة أرواح كلما أكبقنا عليه نفذ ولو من ثقب إبرة حتى ليليت لم تنجح معه رغم المواجهة المباشرة والتي دائما ما تكون في صالحها !!!
ـــ أوه ليليت ... إنها اليوم لم تكن عثيرة الحظ فقط بل كانت الأسوأ على الإطلاق فلقد جازفت بالكثير من أجل هدفها حتى كادت تسبب لنا خسائر فادحة خاصة في مثل هذا التوقيت التاريخي ..
ـــ حقا كانت رعناء لكنها مازالت الأفضل والأكثر إخلاصا ..
التفت إليه الكاهن وقد اتسمت ملامحه بالجدية والصرامة :
ـــ المئات عبر التاريخ كانوا مخلصين بل أكثر منها إخلاصا ولكن تهورهم كلفهم حياتهم كما كلف سيدنا القرون الطويلة وكذلك هي كادت أن تضيع علينا قرنا من الزمان ..
نظر الشاب إليه بانتباه وهو يقول مستفهما :
ـــ وكيف ذلك سيدي ؟؟؟
اقترب الكاهن من مقعد قريب وأمسك كأسا به بعضا من النبيذ الأحمر كلون الدم ارتشف منه رشفة قبل أن يقول :
ـــ خلال القرون الماضية بذل الكثيرون محاولات مضنية ليصلوا لما وصلنا إليه الأن ولعل مجهوداتهم هي بالضبط ما أوصلنا إلى هنا فمن تظن خلق هذا الكم من التفكك والعداء وتصدير التعصب والإرهاب وحتى الحروب منهم حربين عالميتين ؟؟
إنهم أتباعه المخلصين متمسكين تماما بأوامره الصارمة فكل

الرؤوس التي يذكرها التاريخ والتي ارتبط جزء منها كقيادات ثورية بناءة وأخرى كمجرمون ما هم سوى دمى في يديه ينفذون ما يطلب منهم بالضبط حتى أساليب الاقتصاد المتبعة في معظم دول العالم هو الواضع لها فهو سلطان هذا العالم ولكن الغوغاء ليسوا مستعدين تماما لظهور ملكهم ولهذا استغرق الأمر سنون طويلة ما بين ظهورات متقطعة له منذ الأزمان الغابرة حتى تكون جيشه الخاص من علماء وساسة واقتصاديون وحتى فنانون زرعوا ثقافته في رؤوس الشعوب كالسم بالعسل دون أن يشعر مفكريهم الذين صاروا دون وعي ينفذون مخططه دون وعي منهم بل كان هدفهم العكس ..

نظر الكاهن إلى الشاب نظرة ظافرة وهو يردف قائلا :

ـــ أليس اله متحكما بحق ؟؟!! ورغم هذا كان أتباع يهوه يشكلون عقبة كبيرة في تهيئة العالم لاستقبال النور وشكل بعضا منهم هيكلا تنظيمي ليحافظوا على أسرارهم شديدة الخطورة ولهذه الأسرار كانت هناك حراس هم سبعة حراس يتوارثون مهمتهم وهي حماية هذه الأسرار التي تؤهلهم للمقاومة وكانوا ثلاثة عشرة سرا أكتشفناها جميعا إلا السر الأخير وهو العقبة الوحيدة الباقية أمامنا والذي نسعى إليه حتى يكون العالم مهيئا لقدومه وهذا الصحفي يملك هذا السر الأخير وحده على ما أعتقد فالحارس السابع نقله إليه بطريقة ما قبل أن تقتله ليليت .

ـــ هل تقصد الدكتور مختار ؟؟!!

ـــ نعم هو فهو الأخير بين الحراس ولقد ارتكب خطأ فاضح عندما اجتمع في بلدة واحدة مع حارس أخر وهو الدكتور محمد جمال ..

ـــ وماذا تقترح الأن ؟؟؟

ارتشف الكاهن رشفة كبيرة من كأسه وهو يفكر قبل أن يقول :

ـــ هذا دورك للمواجهة المباشرة هل أنت مستعد ؟؟

عدل الشاب من ملابسه وهو يقول بخبث :
ـــ ما دمتم تدفعون جيدا ..
ـــ ألا ترتوي يارجل ؟؟؟
ـــ خدماتي مقابل أموالكم هذا مبدأي دائما ..
ـــ ألا يكفيك ظهور السيد ؟!!
ـــ سيدي هو الورق الملون الذي يقبل كعملة أعطوني سيدي أساند سيدكم
أبتسم الكاهن ابتسامة شيطانية وهو يقول :
ـ لطالما كان أمثالك هم رسل سيدي أذهب وسأعطيك ما تريد وأكثر ..
ضحك الأثنان بشدة ضحكة ظهرت معها أنياب الشيطان بنفسه ..
****

أمام محطة قطار الجيزة توقف أدم بالسيارة الصغيرة ونظر إلى يارا التي أسبلت جفنيها قليلا فمد يده يهزها برفق :
ـــ لقد وصلنا .
فتحت عينيها ونظرت حولها في ارتياب قبل أن تقول :
ـــ إلى أين و أين نحن ؟؟!!
أشار إلى لافتة تشير إلى محطة القطار وقال :
ـــ سنسافر الأن ..
جحظت عيناها متعجبة :
ـــ إلى أين ؟؟؟
ـــ حيث نجد الأجوبة المناسبة ونختفي عن أنظارهم ..
لم تمضي لحظات حتى كانا يجلسان على رصيف المحطة فوق مقعد مصنوع من الرخام بارد الملمس في انتظار القطار الذي علما أنه سيصل بعد ساعة كاملة ..
ودون أن ينبس أدم ببنت شفة عاد برأسه إلى الخلف محاولا أن يسندها على المسند الخلفي للمقعد الرخامي وأسبل جفنيه

تماما في حين نظرت إليه يارا ووجهه الذي بدا مرهقا بشدة وشعره الذي بحالة يرثى لها وشعر وجهه الذي بدا عشوائيا بشكل كبير فغطى نصف وجهه السفلي ..

ـــ أي قطار تنتظران ؟؟؟

انتفضت يارا بعنف عندما وقعت عيناها على ذلك الشرطي الذي بدا مرتابا وهو ينظر إلى أدم الذي فتح عينيه المرهقتين وهو يضغط كف يارا ليبث إليها بعضا من الطمئنينة التي افتقدها هو فلعل الدماء كلها قد فارقت عروقه قبل أن يقول متصنعا الثقة :

ـــ القطار المتجه إلى الفيوم هل هناك مشكلة ما ؟؟؟

تفحص الشرطي وجهيهما في ريبة خاصة مع مظهرهما المزري جاء يوم مليء بالأحداث :

ـــ هل لديكما اثبات شخصية .

بدا الاضطراب بشدة على يارا وكذلك أدم الذي بذل مجهودا هائلا ليبدوا هادئا ولكن هذه المرة كانت يارا أسرع استجابة للحدث فمدت يدها في حقيبتها لتخرج جواز سفرها الأجنبي وتدفعه إلى الشرطي الذي كان جليا أنه لم يستطيع قراءة البيانات التي لم تكن عربية بالطبع فاكتفى بمضاهاة الصورة بالوجه وبقدر عقليته استوعب أن أمامه امرأة أجنبية خاصة أنها لم تتحدث إليه حتى اللحظة فقال مرتبكا وقد شعر بارتكابه خطأ فاضح :

ـــ عذرا سيدتي " سوري يا مس "

هنا تدخل أدم بعدما استطاع التحكم في أعصابه تماما :

ـــ السيدة مارجريتا سائحة سوف تذهب لروئية شلالات الريان بالفيوم فقد سمعت أنها جميلة ..

ـــ نعم يا سيدي هي جميلة جدا لقد ذرتها أكثر من مرة رحلة سعيدة ..

انسحب الشرطي في هدوء وهما يحاولان كتم ضحكتهما بعنف

من ذلك الشرطي الساذج ..
ـــ ما الذي جعلك تقدمي جواز سفرك ؟؟
ـــ لقد عرفت من مظهره أنه بالكاد يقرأ العربية كما أنني أعلم جيدا وضع الأجانب هنا فقررت أن أوهمه أنني أجنبية ..
ـــ حمد لله أنه محدود الذكاء وإلا للاحظ أنكي فهمتي طلبه رغم أنك من المفترض لا تعرفين العربية ..
وانفجرا ضاحكين .....

****

ـــ إنها لعبتي وسأكملها إلى نهايتها ...
كانت عصبية ليليت واضحة في لهجتها وهي تتحدث عبر سماعة البلوتوث وتنظر إلى المرءاة تتحسس ندبة صغيرة بدت على وجنتها وأثار كدمات تحتل مساحة ليست بصغيرة من جراء ركلة يارا ..
ـــ ابتعدي حتى لا تفسدي الأمر
كان صوت الكاهن مرتفعا بدوره وهو يأمرها بالابتعاد عن الأمر في حين قالت متحدية :
ـــ هذا كان دوري منذ البداية وسوف أتمه ..
بدأ صوتها يهدأ رويدا وهي تردف قائلة :
ـــ أعلم أنني كنت متهورة ولكنني هذه المرة سأستخدم الحكمة ولكن لا يمكنني الإنسحاب الأن فالأمر صار شخصيا ..
كان الكاهن يعلم جيدا أن رفضه لن يكون رادعا كافيا لليليت العنيدة فهو أعلم الناس بها كما ماذا لو فشل البديل خاصة أنه شخص لا يهمه سوى المال في حين تمتلك ليليت الإيمان المطلق الذي يجعل حياتها ثمنا بخس بحق .
ـــ حسنا ولكن خطأ واحد قد يكلفك حياتك كوني بعيدة بقدر أمن حتى تحين الفرصة هل فهمتي ؟؟
إبتسمت راضية وقالت :

ـــ حسنا يا سيدي ...
ـــ هما الأن في طريقهما إلى الفيوم ...
ـــ سأكون هناك ..
أنهت المكالمة في حين نظرت إلى وجهها كأنما تراه لأول مرة وهي تغمغم قائلة :
ـــ أنتي لي هذه المرة يا يارا لن تتفوقي على ليليت أبدا ..أبدا

****

حاول هشام ذلك الضابط الشاب اختراق ذلك الزحام المريع بميدان الجيزة وسط السيارات التي بالكاد تتحرك وسيارات الأجرة العشوائية كانت يده لا تكف تضغط نفير سيارته بهيستريا كأنما يعلن للجميع أنها حالة طارئة ..
كان قد تلقى ردا على اشارة بأوصاف أدم ويارا قد أذاعها المفتش حسين على جميع أجهزة لاسلكي الشرطة مفادها رؤية اثنان هناك شك أن يكونا هما وكان شرطي قد اطلع على جواز سفر أجنبي تحمله السيدة قبل تلقي الاشارة وما إن علم بأمر الإشارة أعلم رئيسه بالأمر فورا ...
ما زاد اليقين لدى هشام أنهما هما حتما تلقي إشارة أخرى من مرور الجيزة بوجود سيارة تحمل نفس اللوحات المبلغ عنها تقف بشكل مريب قريبة من محطة القطارات بالجيزة ..
كانت مصادفة حسنة أن يكون هشام في نفس التوقيت أعلى كوبري الجيزة قادما من شارع الهرم فأعطى أوامره بسرعة بمراقبتهما عن بعد حتى يصل ..
أستغرق هشام ربع الساعة قبل أن يصل إلى شرطي وقف بالقرب من سيارة صغيرة داكنة فرفع بطاقته بسرعة في وجه الشرطي الذي حياه بسرعة في حين قال هشام :
ـــ هذه هي ؟؟
ـــ نعم يا سيدي ..

ـ هل رأيت أحدا يترجل منها ؟؟؟
ـ لا ياسيدي ولكنهما حتما بالداخل .
وأشار إلى باب المحطة لينطلق هشام مسرعا متجها مباشرة إلى نقطة شرطة المحطة ليتسائل أين الرجل والمرأة الذين تم الإبلاغ عنهما فالتفت شرطي إلى مكان جلوسهما
ـ هناك يا سيد.....
لم يستطيع الشرطي اكمال جملته فلقد كان المقعد فارغا تماما ..
ـ ماذا هناك يارجل ؟؟؟
ـ لقد اختفيا !!!
أمسكه هشام من ملابسه وهزه بعنف
ـ أين اختفيا ؟؟
ـ لقد قالا إنهما يتجهان إلى الفيوم ..
ـ منذ متى تحرك القطار؟؟
ـ إنه لم يأت بعد
ثار هشام بشدة وهو يضيق قبضته على ملابس الرجل بشدة
ـ وأين قد يكونا قد اختفيا إذا ؟؟
تدخل شرطي أخر محاولا التخفيف عن زميله :
ـ لقد دخل قطار منذ عشر دقائق يتجه إلى الصعيد وهو يتوقف في الوسطى وهناك يمكنهما استبداله بالمتجه إلى الفيوم ..
كان حديث الشرطي كافيا ليفك خنا ق زميله من يدي هشام الذي اندفع بسرعة إلى سيارته مصرا على اللحاق بهما ولو في أخر الدنيا ...

****

كانت فكرة أدم عبقرية بحق كما وجدتها يارا التي شعرت برهبة تسري إلى جسدها من طول فترة الانتظار في هذا المكان الذي يعج برجال الشرطة الذين سرعان ما تصلهم

معلومات فرارهما ووافقها أدم الرأي ولكن تبقت مشكلة كبيرة ذلك الشرطي الذي لم تفارقهما عيناه للحظة واحدة ..
وكان الحل عندما توقف قطار الصعيد أمامهما مباشرة فينطلقا بسرعة البرق ليركبا القطار ولكنهما ما لبثا أن قفزا على الجانب الأخر من الشريط ليهرعا بسرعة عدوا على خطوط القطار حتى وجدا نفسهما أمام مزلقان وهناك كانا قد ذابا وسط الزحام تماما وكضربة حظ لم يتوقعاها كانت إحدى سيارات الأجرة ينادي سائقها أنها متجهة مباشرة إلى الفيوم .
وبالفعل لم تمر سوى دقائق حتى كانت السيارة تتجه مباشرة إلى الفيوم عبر الطريق الصحراوي ...
قالت يارا :
ـــ ألن تخبرني عن وجهتنا ..
ابتسم أدم وضم كفها الرقيق داخل كفه وقال :
ـــ هل تثقي بوالدك ؟؟
نظرت إليه متعجبة :
ـــ وما دخل والدي الأن ؟
قال بثقة :
ـــ هو من دلني على هذا الملاذ الأخير ..
رفعت حاجبيها مندهشة فقال لها
ـــ اننا ذاهبان إلى جبل كان في الماضي صاحب فضل على البشرية ويبدو أنه سيكون كذلك مرة أخرة ..
بدت أنها لم تعي شيئا من طريقة الألغاز التي اتبعها أدم الذي ابتسم بهدوء
ـــ نحن ذاهبين إلى أحد الأديرة الوقع أعلى حبل ..
قالت مندهشة :
ـــ ظننتك مسلم !!!!
تعجب بشدة وقال لها :
ـــ وما علاقة هذا بالأمر .

ـــ أعتقد أن مسلمي مصر ومسيحيها ليسوا على توافق وأن هنا.....
عقد حاجبيه بغضب وقال :
ـــ من قال هذا إنهم حتما من وجدوا من التحامنا قوة فحاولوا التفريق والافتتان لكنهم حتما لن ينجحوا في هذا وسوف ترين بنفسك فأبيك الذي أرسلك إلي لأحميكي هو من رشح لي راهب ليساعدنا فهل تعتقدين أن أبيك سيضللنا ؟؟!!
طأطأت برأسها أرضا شاعرة بالإحراج قبل أن تقول بصوت متهدج :
ـــ وفيما سيفيدنا راهب بنظرك .
صمت أدم لحظات وهو يفكر مليا في سؤالها فالمنطق يطرحه وبشدة

****

لم تتخلى عنها الذكريات منذ تلك السنوات السحيقة عندما تعرفت على ذلك الشاب ليفي أثناء اقامتها بأوروبا وهناك أحبته كما لم تحب أحدا من قبل كان شابا وسيما لبقا لديه قدرة عجيبة في اثبات وجهات نظره فلقد استطاع يدير بوصلة حياتها تماما وهي تلك اليافعة التي مابرحت تتخطى سنوات المراهقة بين أفراد أسرة شرقية ذات طابع يحمل الكثير من العقائد والتقاليد .. ومما أمن به الجميع حولها ذلك القدير الذي يسيطر على كل كبيرة وصغيرة وبدونه لا وجود ..
كانت أسرتها أيضا بحكم اختلاطها بالغرب ومجتمعه قد أعطت لأبناءها الكثير من الحرية اعتقدوا أنها ستقدر تلك الحرية ..
كان ظهور ليفي في حياتها بأفكاره المتحررة ومنطقه الجذاب في ظل ثقافتها المحدودة وأفكارها الثائرة وكانت اجاباته لكل تساؤلاتها كفيلة للفت انتباهها وانجذابها إليه ,,
علمها أن العاطفة جزء من الجسد وأن القيود التي فرضتها

الأديان وضعت لتكبيل الحريات .. تتذكر يوما عندما قال لها :
" لماذا في رأيك خالق الشهوة الجنسية بداخلنا يحرم استخدامها ؟؟؟"
كان منطقيا بشكل لم تراه في أي من الشباب في مجتمعها المحيط حيث كانت السطحية سمة مميزة ..
" إن كان جسد المرأة عورة فلماذا خلق لها نهود شامخات وأرداف ثقيلة وخصور نحيلة "
هكذا أطاح بكل الأفكار البالية من وجهة نظرها ونظره
" لماذا لا نحيا على سجيتنا دون قيود "
ـــ فيلسوف أنت ياحبيبي حتما ؟!! بل أنت بوذا في وداعته تكرشنا في سطوته وزرداشت في حكمته حتما أنت لست من هذا الزمان !!!
ألقت بنفسها دون وعيا منها بين ذراعيه لتلتقط بشفتيها شفتيه فيذوبا بين العشب الأخضر في نشوة لا تعرف نهاية ولا بداية لتتحطم كل الأصنام والعقائد التي عرفتها البشرية في جحيم من القبلات لم تترك جزء من جسدها النحيل دون يمرر شفتيه عليه وهي مستسلمة للذة أبدية لا تعرف لها نهاية ..
تناولت منه قنينة لترتشف من أثر شفتيه أول قطرة خمر تداعب رأسها ..
ما هي إلا لحظات حتى حتى شعرت بالدوار لقد كانت تسمو وترتفع فوق كل العناصر بل توحدت هي في كل ما حولها كان العالم سرمدي بلا حدود ولا فواصل ولا سمات فقط يديه تداعبان جسدها ثم تتساقط ملابسها القطعة تلو الأخرى لتسقط في بئر سحيق من اللذة والمتعة ..
تعددت اللقاءات والنقاشات لتجد ليليت نفسها تتجرد من كل الثوابت والمعتقدات تترك لجسدها العنان بلا قيود ومن الخمر متعة الطفو حتى جاء ذلك اليوم الفاصل عندما أخذها ليفي في أحضانه يضمها ويتناول شفتيها بقبلة ذابت على أثرها إلا أنه

قاطعها للمرة الأولى في مثل هذه اللحظات فقال لها :
ـــ ليس الأن يا حبيبتي ..
ـــ لماذا ألا ترغب في ؟؟!!!
طبع قبلة على خدها وهو يقول في أذنها حتى تلفح أنفاسه وجهها :
ـــ رغبتي لا تكف عن النداء بكي لكنني أريدك أن تتخلي عالمي لتستمتعي بالحرية والسمو الروحي بعيدا عن هذه الخرافات الالهية المزعومة ..

لفت ذراعيها حول عنقه وهي تقول بدلال :
ـــ أنا معك أينما تكون فلقد كفرت بكل الألهة والديانات والكتب المقدسة فأنا لم أومن سوى بك أنت يا حبيبي ..
ـــ لا ... لا .. هناك من يجب الإيمان به ..
نظرت إليه متعجبة :
ـــ ألست ملحدا ؟؟!!!
ـــ بالطبع لا بل أنا شديد الإيمان .
ـــ بمن ؟؟؟!!!
ـــ برب الثورة والحرية إله النور الأتي من الظلام لينزع الجحيم من أرواحنا ..
ـــ وما أسم هذا الاله ؟؟؟
ـــ انه له العديد من الأسماء ولكن لا أسم يصفه ولا فقلا يرفضه لكن هؤلاء الدجالون المسمون برجال الدين شوهوه وألقوا بكل مبادئه إلى الجحيم لأنه الوحيد الذي استطاع أن يثور على هذا العجوز على كرسيه رافضا الخنوع والخضوع لجبروته وكعقاب أسقطه من علوه ليكون اله لهذا العالم ..
وكانت ليلتها الأولى مع القداس الأسود لتجد هناك ضالتها المنشودة بين المخدرات وحلقات الجنس ولكنها لم تكن لتكتفي مثل الباقين من كونها مجرد تابعة مخلصة بل كان يجب أن

تكون الأقوب والأهم وببراعة نجحت في الاتصال بالكاهن الأكبر ليصنع منها ليليت نعم هي منذ الأزل هي ليليت وستكون .....
****

حول سور عملاق يمتد لمسافة طويلة دار كلا من أدم ويارا حول ذلك الدير الأرثوكسي القديم الحديث إنه دير الملاك جبرائيل بجبل النقلون في إحدى ضواحي مدينة الفيوم ويعود إلى قرون قليلة بعد ميلاد السيد المسيح وحتى من النصف الأول من القرن العشرين عندما توقفت الرهبنة فيه لمدة تجاوزت الثلاثون عاما حتى أعاده الأنبا إبرام أسقف الفيوم للحياة مرة أخرى فقام بتجديد مبانيه وإعادة حياة الرهبنة إليه في إطار تشجيع الرهبنة في البرية كما كان الحال مع بداية فكرة الرهبنة في مصر في القرن الرابع الميلادي ..

كان الباب الرئيسي للدير عملاقا مبني فوقه بوابة عملاقة على شكل برج كنيسة رباعي الشكل إلا أن هذا الباب لسبب ما مغلق تماما وعن طريق بعض المارة علما أن هناك على بعد ثلاثمئة متر يوجد باب فرعي وهو الباب الوحيد الذي يسمح للزوار بالدخول ....

وقف كلا من يارا وأدم أمام باب ضخم يقل قليلا عن الباب الرئيسي يعلوه برج كنسي صغير مزين بصلبان رومانية متعددة الأحجام ..

أمام كشك للحراسة جلس فيه شرطيين للحراسة مسلحين مما جعلهما يضطربا للحظات غير أن أدم استنشق كمية كبيرة من الهواء محاولا اخفاء توتره ليتقدم إلى أحد الحراس وتحدث معه للحظات قبل أن يشير ليارا فتقترب منه فتشير برأسها مبتسمة تحيي الحارسين الذين بادلاها التحية قبل أن تدلف بصحبة أدم إلى داخل الدير ..

كانت لجهة اليمين متجر صغير لبيع المخبوزات التي يصنعها الرهبان وفجأة تقدم راهب بشوش الوجه وهو يبتسم مرحبا بهما في حين قال أدم :

ـــ أبحث عن الراهب غبريال ؟؟
نظر الراهب إليهما في ريبة فهمها أدم فاستدرج مسرعا :
ـــ أنا أحمل له رسالة من أسرته الدنيوية ..
ابتسم الراهب وقد شعر براحة فأشار في اتجاه منطقة صحراوية وهو يقول :
ـــ إنه الأن حتما في الكنيسة على الجانب الأخر هناك ..
نظرا إلى اتجاه اشارته فبدت من بعيد أبراج الكنيسة مرتفعة بيضاء مغلفة بالجص وبينهم قبة ضخمة ذات لون مصفر بعض الشيء علاها صليب متداخل بحيث يظهر من جميع الاتجهات بشكله المعروف ...
بدا الدير يتسع أكثر كلما تقدما عدة خطوات في تلك المنطقة الرملية وهناك على بعد كانت تلال جبلية تنتشر لتحيط بتلك المباني الحديثة كأنما تعلن احتوائها لها وقد برزت فجوات مظلمة ببعض التلال لفتت الفجوات نظرهما فأطالا النظر إليها ليسمعا صوتا من الخلف :
ـــ إنها مغارات كان يستخدمها الأباء الرهبان قبل أن تبنى تلك القلايات ..
وأشار بيديه إلى مبان صغيرة مرتبة كانت تظهر كغرف فندقية مستقلة بيضاء اللون ..
قالت يارا:
ـــ وما القلايات أنها منازل ؟!!
ضحك الراهب بود :
ـــ إنها غرف الرهبان ومكان اعتكافهم يطلق عليها قلاية وجمعها قلايات ...
بدا على وجهيهما الفهم في حين أردف الراهب قائلا وهو يمد يده مصافحا :
ـــ أنا الأب صموئيل مرحبا بكما في بيت من بيوت الرب ...
هل تبحثان عن شيء بعينه ؟؟؟

قال أدم :
ـــ نعم عن الراهب غبريال ...
ـــــ الأخ غبريال محبوب كثيرا لدى اخواننا المسلمون من أهالي القرى المجاورة ..أتبعاني
انطلق القس بخطوات رشيقة هادئة بين الكتل الصخرية والرملية وهما يتبعانه في صمت حتى وصلا إلى باب الكنيسة فنظر إليهما القس وقال :
ـــــ انها كنيسة الملاك جبريال وهي مبنية على أطلال الكنيسة التي أقامها هنا الأباء الكهنة منذ قرون في نفس المكان إنها كنيسة مباركة ..
ابتسما ابتسامة مرحبة بتلك المعلومة دون أن ينبس أيا منهما ببنت شفة
عبر الجميع ممرا حتى وصلوا إلى قاعة مربعة كبيرة عبر ممر صغير كان هناك عدد كبير مصطف من المقاعد بين كل عدد من الصفوف ممر صغير ليرسم الجميع شكل صليب ضخم وقف عند رأسه تماما المذبح حيث يقوم الكاهن بطقوسه ..
كان الوقت ليس وقت زيارة مما جعل القاعة شبه خالية سوى من بعض الرهبان الذين تفرقوا ما بين من يقومون بأعمال خدمية للكنيسة والبعض الأخر يؤدون صلوات ..
فأشار القس صموئيل ناحية أحد الرهبان وقال :
ـــ ها هو هناك يصلي إنه يعشق الصلاة ..
كان هناك مكان أشارته ليجدا راهب في الزي المشهور للرهبان يركع بخشوع أمام مجسم ضخم يمثل الصليب معلق عليه جسد يسوع المصلوب كما يعتقد المسيحيون ..
تركهما القس واتجه إلى لوحة عملاقة تمثل العذراء مريم وهي تحمل الطفل يسوع في مهده فضم بقبضتيه الى صدره وطأطأ رأسه ليستغرق في صلاته ..
بنظرات سريعة استكشف أدم تلك الأيقونات القبطية التي أمتلأت

بها حوائط الكنيسة ..
كان الراهب غبريال قد أنهى صلاته في هذه اللحظة وكاد أن ينصرف قبل يناديه أدم بصوت رقيق حتى لا يزعج الرهبان المتعبدين ..
نظر إليه الراهب متعجبا وقد ظن للوهلة الأولى أنه أحد رعايا الكنيسة إلا أن أدم مال على أذنه وقال :
ـــ لقد أرسلني الدكتور مختار الشامي ..
التفت الراهب يمينا ويسارا كمن يطمئن أن لا أحد يستمع وهو يضع اطراف أنامله بسرعة على فم أدم كمن يحذره من الحديث هنا ثم قال :
ـــ اتبعاني بهدوء ...
****

ـــ في هذا المكان أشعر بتلك الحياة النقية التي عاشها الرهبان في العصور القديمة ومدى توحدهم مع الرب ..
قالها غبريال وهو يشير إلى سفح جبل متوسط الارتفاع ويتوسطه مغارة صغيرة مظلمة تماما بدت أنها لم تطأها قدم منذ عقود طويلة فصعوبة الوصول عبر تسلق منطقة صخرية جعل حتى الزائرون يحبذون النظر من أسفل الجبل التي تعد شاهدا على حياة الرهبنة الأولى والتي ظهرت كرد فعل على اضطهاد الرومان الذين حاولوا نشر مذهبهم وعقائدهم بالقوة مما جعل الرهبنة والمأوى إلى الجبال فرارا من ذلك الجبروت الروماني قبل أن تتسلل عقائدهم تدريجيا إلى الكنيسة القبطية عبر الزمن رغم تغير المسميات وبعض الاختلافات السطحية ..
ـــ إنني لأستشعر عبقا روحانيا في هذا المكان حقا ..
هذا ما قالته يارا في حين ابتسم غبريال وقال :
ـــ كل فترة من الزمن أهرب بنفسي من ضجيج الزيارة إلى هنا متفردا لأصلي وأتأمل فهنا شاهد على معركتنا الأزلية منذ بدء الخليقة بين الظلام والنور الخير والشر .. هل تعلما في بعض خلواتي هنا أتحدث مع تلك الصخور أستجديها لتخبرني بحقيقة الأحداث التي خبأها المؤرخون وأنكرها تاريخنا الحاضر فهي من شهد طغيان الشيطان وحلفاءه على رجال الرب لعلها ليست البقعة الوحيدة ولا الأبرز لكنها أيضا لديها الكثير لترويه كما لدي أيضا الكثير ولا أجرؤ على البوح سوى بالنذر القليل ..
هنا قال أدم الذي ظل ملتزما الصمت طوال الطريق احتراما لرغبة الراهب
ـــ وما عندك لتخبرنا به أيها الراهب ؟؟؟
نظر إليه الراهب متعجبا وقال :
ـــ ألا يجب أن أعرفكم أولا ؟؟!!
قال أدم :

ـــ أنا أدم صحفي وهذه يارا ابنة الدكتور مختار ..
نظر إليها غبريال متسائلا :
ـــ لكن على حد علمي أن الدكتور مختار ليس لديه أبناء !!!
تبادل أدم ويارا النظر متعجبين فاذا كان هذا السر لم يعرفه غبريال فكيف له أن يعرف المزيد ؟؟
ـــ أظن أن الدكتور رحمه الله كان لديه المزيد من الأسرار ..
ـــ رحمه الله ؟؟؟ !!!
ابتسم غبريال :
ـــ ألم يقتلوه ؟!!
قالت يارا متعجبة :
ـــ من هم وكيف تعرف فلم يمض كثيرا من الوقت ولا أعتقد أنك تتابع الأخبار !!!!
مازال غبريال يبتسم :
ـــ كما أخبرتكما أن هذه الصخور تحتفظ بأسرار البشرية في أشد الحاجة لمعرفتها كذلك ابن الإنسان كالصخر يحتفظ بسره فمنهم من يبوح ومنهم من يموت دون ذلك ..
قال أدم :
ـــ أنا لا أفهم شيء !!
ـــ لكل شخص منا سره الخاص الذي يدفن معه تحت التراب ولكن الأقدار شائت أن يحمل الدكتور مختار أسرارا يحب ألا تموت وبما أنه كان لا يثق بأحد فقد أعطى بعض الخيوط لأشخاص خارج منظومة الحراس ومنهم صاحبكم ..
أشار غبريال إلى نفسه في حين بدت الدهشة على وجه كلا من أدم ويارا في حين توجه غبريال إلى صخرة وجلس عليها مما جعل كلا منهما يحزو حزوه ..
ـــ مازلت لم تخبرنا كيف عرفت بمقتله ؟؟!!
قالها أدم فابتسم غبريال كعادته قبل أن يقول :
ـــ انك متعجل يا سيد أدم ولكنني سأسألك سؤال بسيط قد

تكون اجابته كافية لك ... كيف دلك علي الدكتور مختار ؟؟
نظر أدم إلى يارا التي تعلق نظرها به وقال :
ـــ في رسالة مقتضبة قال لي إن ساءت الأمور توجه إلى النقلون واسأل عن الراهب غبريال هناك ستجد ملاذا لك ولمن معك ..
نظر غبريال إلى يارا وقال لها:
ـــ كيف قابلت السيد أدم؟؟؟
ـــ رسالة من والدي طلب مني أن أثق به !!!
ضحك غبريال وقال :
ـــ هذه هي حلقات السلسلة قد اكتملت الأن فوالدك كان أخر الحراس السبعة وكان يخشى أن يصلوا إليه فيموت السر معه ولهذا مرر خيطا لي وأنا خارج المنظومة حتى لا يضيع السر نهائيا وكان الاتفاق أنني لا أعرف شيئا ولن يفشي سري أحد إلا إذا قتل الدكتور وما دمتم وصلتم إلي وهيئتكم تدل على معاناة ففهمت من فوري ما حل به .
قال أدم :
ـــ أرجوك دلني على ما تعرفه بسرعة فالوقت ضيق ..
اكتست ملامح الراهب بالجدية وهو يقول :
ـــ حقيقة الأمر أنا لا أعرف الكثير ولكنه طرف خيط لا أكثر
قالت يارا :
ـــ مادام اختارك والدي فحتما ما عندك شديد الأهمية لنا !!
صمت غبريال برهة قبل أن يقول موجها حديثه إلى يارا :
ـــ لقد صار الأمر قريبا جدا الأن أقرب من أي وقت مضى ..
قالت يارا في عصبية :
ـــ أي أمر ولماذا تتحدث بالألغاز ؟؟!!!
حاول أدم امتصاص توترها وهو يقول :
ـــ رجاء أيها الراهب الوقت يداهمنا ..

ـــ الأمر الذي أخفاه والدك لعقود وأباءه لقرون إنه السر الذي يسعى إليه الجميع ..
ـــ أي سر ؟؟؟
تسائل أدم في حين التفت إليه غبريال
ـــ السر الأخير ..
قالت يارا في حيرة :
ـــ وما هو هذا السر ؟؟
قال غبريال :
ـــ في الحقيقة أنا لا أعرفه ولكنني أعلم عما يدور ..
ـــ هل تقصد السر الثالث عشر ؟؟!!
تعجب غبريال من معرفة أدم بالأمر وهو يقول :
ـــ بالضبط إنه السر الثالث عشر !!!!
كانت عينا يارا تتجول بينهما في حيرة وصمت فلقد كان الأمر يزداد تعقيدا بالنسبة لها .
قال غبريال لأدم :
ـــ أخبرني أولا كيف بدأت علاقتك بالدكتور مختار وهل أنت من الحراس ؟؟
وهنا بدأ أدم يروي له الأحداث منذ البداية ..
****

ـــ قداسنا هذا هو القداس الأخير الذي نتقرب فيه للغائب عنا قبل أن يتجلى بنوره , الأن هناك جنود لسيدنا من أبناء النور يسعون جاهدين لوضع اللمسات الأخيرة ليكون قداس الظهور هو قداسنا القادم ليكون متجليا معنا بعظمته وبهائه ..
كان الكاهن الأكبر يقف وفي يديه صولجانه ذو النجمة الخماسية والجمجمة داخل قاعة معبد صغير في مكان مجهول كانت القاعة تكاد تكون مظلمة تماما سوى من ضوء خافت مصره بعض الشموع السوداء تحيط بدائرة قطرها ثلاثة أمتار تقريبا

تتوسطها نجمة خماسية كبيرة كانت الشموع ثلاثة عشرة شمعة وتلك الدائرة والنجمة حفرت في الأرض بشكل يجعل أضلاعها ومحيطها عبار عن مجرى ضيق يسمح بمرور سائل بداخلهما ..

عند رأس النجمة بدا في ذلك الضوء الخافت فالشموع السوداء قليلة الضوء برزت رأس فتاة تبعثر شعرها حول رأسها وبالتدقيق تجد أن باقي جسدها شكل نفس الرؤوس النجمة الخماسية حيث توزعت أطرافها لتكون الرأس هي رأس النجمة ويديها في الجانبين وقدماها للأسفل مفتوحتين تشكلان مثلثي القاعدة ..

ومن أسفل الرأس بسنتيمترات تسلل سائل داكن اللون ليسيل كنهر صغير يصب في شقوق رفيعة هي شكل النجمة المحفورة في الأرض لتتحول النجمة المرسومة والدائرة المحيطة بعدها للون الداكن المصنوع من الدم البشري الخالص النابع من عنق الفتاة المسجية على شكل دائرة عاؤية تماما وهناك في أخر الغرفة كان إناءا من الرصاص يستقبل عبر ممرات النجمة والدائرة الرخامية ذلك القربان المسفوك من فتاة عارية مذبوحة ومنه يتم ملأ الكؤوس على شكل جماجم بشرية أو هي جماجم بشرية ليجرع الجميع شرابا مقدس من دم بشري خالص ..

استمر الطقس الدموي لساعة أو يزيد قليلا قبل أن تمتلأ الكؤوس مرة أخرى بالخمور موضع الدماء فيغيب الجميع في نشوة السكر فيتساقط البعض غشية وينزع أخرون ثيابهم في موجة من العربدة الجماعية كما انتشرت المحاقن تتبادل لاجتراع المخدرات وما هي سوى ساعة أخرى حتى ألقي الأغلبية العظمى على أقفيتهم بين نشوة المخدرات ولذة الجنس الشاذ وعلى وجوههم أثار دماء قربانهم المقدس ..

وهناك بالخارج في مكان سري وقف الكاهن يتابع عبر شاشة ضخمة تابعيه وقد مارسوا كل طقوسهم الشيطانية وهو يجرع

كأس من النبيذ ويتمتم :
ـــ ناموا في سلام سيدنا فهذه متعتكم الوحيدة فلن ينال قربه سوى الصفوة هم سيرثون العالم عندما يحين الوقت الذي اقترب ... اقترب جدا جدا ....
****

غبريال كان أستاذا مساعدا للتاريخ قبل أن يكون راهبا وكان صديقا شخصيا للدكتور مختار وكثيرا ما سمع عن اسطورة السر الأخير والحراس وحتى هذا القادم من الجحيم .. لكنه بمعرفته بمختار ما كان ليظن أن رجلا مثله يروج لخرافة بل هو عالم يؤمن بالدلائل المادية وبعد نقاشات عدة اقتنع غبريال بالقضية ولعل هذا كان سر التحاقه بالدير فهو لم يكن بقوة مختار فحبذ الابتعاد إلا أن الأقدار لم تكن لتجعله يختار فها هو الأن يجلس مجلس أحد الحراس ليعيد إحياء الأسطورة ..
ـــ الجريل ماذا تعرف عنه يا سيد أدم ؟؟؟
نظر إليه الأخير منهشا قبل أن يقول :
ـــ ظننت عقيدتك ستمنعك من الاعتقاد بهذا !!!
ضحك جبريال وهو يقول :
ـــ عقيدتي لا تنكر الجريل بل هي تدعم الفكرة تماما .
قالت يارا متدخلة تحاول أن تعي ما يدور حولها :
ـــ أرجوكما وضحا لي الأمر فأنا أشعر بالغباء هنا ..
ابتسم أدم في ود :
ـــ الجريل أو الكأس المقدسة وهي تلك الكأس التي قدمها السيد المسيح لتلاميذه في العشاء الأخير قبل أن يقبض عليه اليهود باعتقاد المسيحيون وأخبرهم عليه السلام أن النبيذ بالكأس سيتحول لدمه كما سيتحول الخبز إلى لحمه كناية عن التضحية بنفسه من أجل البشرية ولا زال الطقس مستمر في معظم كنائس العالم حتى الأن ويسمى بالتناول أليس كذلك أيها الراهب

؟؟؟
ابتسم الراهب غبريال وهز رأسه موافقا قبل أن يعتدل في مجلسه على الصخرة ويقول :
ـــ هذا حقيقي تماما بالنسبة لاعتقاد الكنيستين الأكبر الأرثوكسية والكاثوليك ..
قالت يارا:
ـــ وما دخل هذا بقضيتنا هنا ؟!
نظر أدم إلى إلى غبريال منتظرا اجابته :
ـــ علاقته وثيقة جدا فهناك من حاول عبر التاريخ المغذى الحقيقي لفكرة الكأس المقدسة وذهب الكثيرون إلى أن الكأس إنما هي رمز للأنثى المقدسة فادعى البعض أن للمسيح سلالة من نسله بعد زواجه من مريم المجدلية وهذا ما رفضته الكنيستين تماما بالرغم من أنه لا يقلل من المسيح الذي جاء كبشر كامل ومن تمام البشرية القدرة على الزواج ولكن ليس هذا بموضوعنا هنا المهم أثارني الأمر كثيرا خاصة بعد حديث الكاتب دان براون في شيفرة دافنشي منذ عدة سنوات وتلك الضجة التي أثيرت فقررت البحث هذا مضافا إليه ما علمني إياه الدكتور مختار ..
قالت يارا :
ـــ وهل يمكن التعويل على رواية خيالية ؟؟!!
قال أدم :
ـــ الحقيقة أن براون ليس الوحيد الذي تحدث عن هذا بل سبقه العشرات إليه و إن كان نجاح روايته سببا لهذا الضجيج ..
ـــ عندك كل الحق ياسيد أدم لكنني مازلت أختلف معه تماما زكل من كتب عن هذا الأمر ليس بحكم كوني مسيحي متدين لكن العقل والمنطق يقول هذا ..
قال أدم :

ـــ ولكن ماذا يكون في رأيك وهل لما نحن فيه علاقة ؟؟؟!!
ـــ أنت تعرف فرسان الهيكل وعلاقتهم بالجريل ؟؟
قال أدم متعجبا :
ـــ بالطبع فأي باحث في هذا الأمر سيصطدم بفرسان الهيكل وتاريخ بحثهم عن الجريل !!!
ـــ و إذا ربطنا بين فرسان الهيكل والماسون وهم الامتداد الطبيعي للفرسان كما تعلم ؟؟
ـــ وما في الأمر ؟؟!!
ـــ هل الماسون يقدسون الاله الذي يعرفه المسيحيون أو المسلمون ..
هنا تدخلت يارا قائلة :
ـــ لقد قابلت عددا منهم في أوروبا وهم أخبروني أنهم لا يقبلون بين صفوفهم ملحدون فهم إذا من يعبدون ؟؟
ابتسم كلا من غبريال وأدم الذي قال :
ـــ هؤلاء أصحاب الدرجات الدنيا من الماسونية وهو ظاهرها أما في الحقيقة هم يقدسون ما يسمونه بالمهندس الأكبر ومن هنا جاء لقب البنائون الأحرار ..
ـــ ولأول وهلة يعتقد المرأ أنهم يعبرون بمهندس الكون عن الله الخالق ولكن في الدرجات المتقدمة وهي درجات تصل إلى الثلاثة والثلاثون درجة هي أعلاها تتجلى أفكارهم الحقيقية وهذا ما يعد سرهم الكبير وهنا تتضح معاني رموزهم ولهذا من المستحيل أن تكون الجريل شيئا ذو علاقة بالمسيح ونسله ولا حتى مجرد إناء أحتوى قطرات دم من دماء المسيح أو شرب منه حتى المسيح ..
كان الحديث منطقيا جدا بالنسبة لأدم رغم كل قراءاته عن الجريل الذي ظل حدثا شديد الأهمية لباحث في الجمعيات السرية وخاصة الماسون في حين ظلت يارا تحاول اللحاق بهما في هذه اللوغاريتمات الدينية الطقسية الذي بدت لها سخيفة بادئ

الأمر إلا أن ثقة والدها في هذا النحيل بزي راهب كانت كفيلة بالهامها الصبر ..
بعد تطلعه لوجهيهما لحظات أردف غبريال قائلا :
ـــ فالجريل ليس حكرا على المسيحية بل تعود بعض الأساطير السلطية (ما قبل المسيحية) عنه ومنها ما هو شرقي مثل كأس الجامشيد الفارسية أو الجنة الهندوسية وإذا أخذنا في الاعتبار قصة بارزيفال عن الكأس المقدسة التي كتبت بدايات القرن الثالث عشر عن الجريل أن مؤلفها استلهمها من قصيدة شعر فرنسية أصلها مخطوطة عربية من مدينة طليطلة الأندلسية أثناء الحكم العربي هناك ستضح الأمور تماما ولو لاحظت التواريخ ستجد أنها تواكب بداية ظهور تنظيم فرسان الهيكل الذي تطور إلى منظمة شديدة الغموض والخطورة هي الماسونية ..
قال أدم وهو مازال مندهشا بشدة :
ـــ إنه أمر شائك جدا ويشير إلى الخطورة !!!
ـــ هذا حقيقي فمثلما كانت المخططات مستمرة لتمويع الفكرة وتوجيه الأفكار إلى أمور بعيدة عن الحقيقة إلا أن هناك من حاولوا تمرير الحقيقة عبر قصص وقصائد وحتى لوحات فنية لكن السطوة كانت في صالح المضللين وهنا دور الحراس الذين عرفوا السر دائما وأخفوه حتى عن الماسون الذين أخذوا ومن خلفهم عبدة الشيطان ومنظمات تجلت عبر التاريخ منها ما هو قائم مثل الجمجمة والعظام ومنها ما اندثر ولكنهم جميعا هدفهم واحد وهو اعداد العالم لاستقبال مسيحهم وملكهم ..
ساد صمت رهيب على المنطقة الصخرية لم يقطعه سوى صوت تيار من الهواء ..
وبعد دقائق صرخت يارا فجأة :
ـــ المظروف ..!!!
نظر أدم إلى المظروف في يده وتعجب كيف نسياه حتى الأن

وهو ما كاد يكلفهما حياتهما ..
نظر إليهما غبريال متسائلا فأجابه أدم فورا :
ـــ هذا مظروف أعطاني إياه الدكتور مختار قبل وفاته ويبدو أنه يحوي سرا عظيما ..
ودون تردد مد يده يفض المظروف لتظهر مفاجئات جديدة ....

****

دخل الضابط هشام إلى مديرية أمن الفيوم يسرع الخطى حتى وصل إلى مكتب رئيس المباحث الذي استقبله بترحاب شديد برغم فارق الرتبة العسكرية إلا أن مباحث العاصمة لها تأثيرها بالنسبة للأقاليم أيضا ..
بعد تناول رشفتة أو أثنتين من فنجان القهوة سيئة المذاق توجه رئيس المباحث إلى هشا م متسائلا عن سبب الزيارة التي لم يستوضحها عبر الهاتف بشكل جيد ؟؟
أجاب هشام بحزم :
ـــ إنها قضية تخص المفتش حسين عودة من مباحث القاهرة وقد أسفرت التحريات عن وجود النتهمين فيها هنا في الفيوم هذا الصباح وكنت أرغب في المساعدة ...
ابتسم رئيس المباحث :
ـ خلال دقائق تكون كل الوحدات تبحث عنه فقط أعطني أوصافه .
ـــ الحقيقة هو ليس شخصا واحدا بل إثنان أحدهما أنثى ..
ـ وليكن فمدينتنا صغيرة وحتما عيوننا ستلتقطهما ..
ابتسم هشام ممتنا قبل أن يقول :
ـــ الحقيقة أنني أريد الأمر بشكل ودي ليس رسمي فقط في أضيق نطاق فيجب أن أكون أول من أصل إليهما فرجالك لن يقتربوا إليهما ؟؟؟

ـــ ولكنهما قد يهربان !!!
ـــ يمكن لرجالك متابعتهما من بعيد فأنا أريد أن أظهر بشكل يؤثر في رئيسي ..
غمز هشام بعينيه للضابط الذي ضحك بشدة بعدما فهم اشارة هشام ثم فكر قليلا قبل أن يقول :
ـــ ما الوسيلة التي استقلاها للوصول هنا ؟؟
مط هشام شفتيه وقال :
ـــ لا أعلم يقينا ورغم الشك في اسقلالهما للقطار إلا أن الأمر ليس موثوقا فيه ..
ـــ إذن فلنبدأ بمباحث النقل في القطار وموقف سيارات الأجرة ..
تناول الرجل هاتفه وأجرى بعض الاتصالات برجاله ومعارفه بعدما نقل الوصف عن هشام قبل أن ينهي اتصالاته ..
تناول علبة سجائر وأشعل لنفسه واحدو وناول هشام أخرى وهو يقول مطمئنا :
ـــ سنصل حتما إلى نتيجة سريعة قبل أن تشرب كوبا أخر من القهوة ..
غمغم هشام بامتعاض :
ـــ أتمنى أسرع فالقهوة هنا سيئة جدا ...
****

في موقف سيارات الأجرة بالقرب من مسلة الملك الفرعوني سينوسيرت كانت ليليت تقترب من أحد السائقين لا تكاد تفارق نهديها الشامخين الذين بدا أكثر من نصفهما من ذلك القميص القطني الضبق الذي يبرز منطقة العنق والصدر بشكل كبير ولونه الأسود الذي أظهر لون بشرتها الأبيض فبدا عنقها كأنه عمود من العنبر يصعد من خلال كتلة من الأبانوس وبنظرة خبيثة علمت ليليت أن مهمتها لن تكون صعبة مع تلك النظرة الحيوانية خاصة عيون السائقين التي اخترقت ذلك الجينز الضيق

الذي تبرز منه مئخرتها تعزف لحنا يصيب الجزء السفلي لكل من رءاه مباشرة وبدلال وقفت تستمع للرجل الذي لم تغادر عيناه ذلك الوادي مابين جبلين وهو يقول :
ـــ بلى لقد ركبا معي صباح اليوم من الجيزة شخصين أظن أنهما هما ولقد نزلا بناء على اقتراحي عند بداية الطريق الدائري للمدينة .
ابتسمت له ليليت ابتسامة اقتلعته من جذوره وهي تقول :
ـ أين كانا ينويان الذهاب حتى تقترح عليهما النزول هناك ؟؟
تلعثم الرجل قليلا وهو يمسع لعابه من شفتيه وهو يقول :
ـ قلمشاه قرية قلمشاه حيث سئلا عن أحد الأديرة هناك يسمى دير الملاك ويمكنني إيصالك إن شئتي ..
كانت ملامح ليليت الصارمة قد عادت إلى وجهها ونظرة حادة جعلت السائق يرتعد للحظات وهي تستدير دون أن تجيبه وتركب سيارتها ممسكة بهاتفها وتضغط زر الاتصال :
ـــ لقد حددت موقعهما و أنا في الطريق الأن ..
وانطلقت سيارتها بين طرق المدينة الضيقة وشاشة الجي بي اس تشير إلى الطريق تماما ..
وعلى مسافة كيلومترات كان كلا من أدم ويارا ومعهما غبريال ينظرون إلى عدد من الأوراق بينهم برديات كتبت بلغة عرفها غبريال من فوره إنها القبطية فأخذ دوره كما يجب ليترجم لهما ما كتب فيها وكان أمرا شديد الخطورة لقد كانت قصة لكنها ليست كأي قصة لقد كانت قصة "ابن الشيطان" نفسه مخطوط كتب أعلاه بخط يد الدكتور أنه وجده مع شخص ما في السويد يعود إلى مخطوطات نجع حمادي ولهذه المجموعة من المخطوطات غلاف رسم عليه الرمز الأكثر شهرة إنه مفتاح الحياة ذلك هو الصليب الأول قبل نشر فكرة الصليب الروماني المشهور ...
كان من الواضح أن الدور المنوط بغبريال قد بدأ هذه اللحظة

وكما قام أحد رهبان النقلون منذ مئات السنين بترجمة أول نسخة من الإنجيل إلى العربية من القبطية يشهد نفس المكان ترجمة مخطوط شديد الأهمية جدا
كان المخطوط معنون بإسم عجيب رغم شهرته لدى المسلمون والمسيحيون ..... إنه " السامري " ..
تبادل الجميع النظر إلى بعضهم البعض فماذا قد يحوي هذا المخطوط عن السامري الذي ظهر في عصر النبي موسى عليه السلام منذ ألاف السنين يجعل الدكتور مختار يعتبره شديد الأهمية إلى هذا الحد ؟؟؟!!! تساؤلات كثيرة لم تمهلهما يارا التي أمسكت بمفكرة صغيرة سوداء اللون وهي تشير إلى صفحة صغيرة وتقرأ بصوت مرتفع مجموعة من الأسماء التي بدا بعضها مألوف والبعض الأخر غامض " بعلزبول لوسفير السامري ليليت فرسان الهيكل "..
ردد أدم الأسماء من خلفها وهو يحاول استجماع كل ما قرأه عن الحضارات القديمة خاصة أن بعض هذه الأسماء قد ارتبطت بحضارات بعينها
" لوسفير وهو إسم للملاك الهابط الذي يمثل إبليس "
"بعلزبول أسم أطلقته حضارات غابرة على إبليس "
" السامري وهو ذلك الشخص الذي أضل بني إسرائيل بعبادة العجل "
فرسان الهيكل وهو إسم لتنظيم من فرسان شاركوا في الحملات الصليبية ثم تشعبوا حتى قضى عليهم ملك فرنسا وبابا الكنيسة بعد أعتراف بعضهم بعبادة الشيطان وقد كان لهم نشاطات غامضة أثناء أقامتهم في أورشليم (القدس)"
ـــ ليليت ؟؟؟
هكذا تسائل غبريال وهويردد الأسم في حين قالت يارا :
ـــ لعله يقصد تلك الفتاة التي تلاحقنا ؟؟!!
ابتسم أدم وقال :

ـــ بل يقصد الشيطانة ليليت ..
نظر إليه الجميع في اهتمام وهو يردف قائلا :
ـــ تؤمن بعض الحضارات القديمة أن هناك أنثى خلقت مساوية لأدم وليست من ضلعه فحواء لم تكن الأولى ولكنها ليليت أو ليليث ولكنها تمردت على أدم الرجل الذي أعتقدت أنهما متساويان فليس له حق السلطة عليها ففرت من جنة عدن بصحبة أبليس وقيل أنها عاشرته وأنجبت منه أيضا وبعدها عوض الله أدم بحواء المخلوقة من ضلعه وهذا جعل هناك عداء تقليدي بين حواء الضرة وليليت وكانوا فيما مضى يعتقدون أنها تقتل المواليد والنساء أثناء الولادة كنوع من الانتقام من ذرية حواء ضرتها وقد عبدها بعض الشرقيين وحضارات أخرى مع اختلاف الأسم اتقاء لشرها ورسمت في حضارات على أنها أنثى خصائل شعرها أفاعي رمزا للحية المذكورة في التوراة ..
هنا تدخل غبريال وقال :
ـــ إذا كان السامري والشيطان والفرسان مثبتين تاريخيا في الأخيرة ودينيا في الأولين فلماذا يأتي الدكتور مختار على ذكر أسطورة مثل هذه ؟؟؟
قال أدم وهو يستجمع أفكاره :
ـــ الأمر يتضح الأن وربما هو نفسه ما ستثبته المخطوطة بعدما تقوم بترجمتها لنا فأبدأ الأن وبعدها ستكتمل الصورة وأشرحها لكما كما أتصورها ..
نظرت يارا إلى غبريال كأنما ترجوه أن يسرع وهو بدوره لم يخذلها بل بدأ مباشرة في فك طلاسم المخطوطة أمامهما وقد كان الأمر مذهلا حقا
بل أكثر من مذهل ...
****

جلس الضابط الشاب هشام في مكتب رئيس المباحث وقد بدا التوتر ينتابه بشدة خاصة بعد مكالمة رئيسه المفتش حسين الذي أخبره خلالها أنه في طريقه إليه وها هو لم يتلقى أية معلومة مفيدة تحدد موضعهما حتى أنه لم ينتبه إلى ثرثرات الضابط الأعلى رتبة الجالس أمامه خلف مكتبه ...
ومع ملامح هشام الممتقعة قال الضابط أمامه محاولا تهدئته :
ـــ لا تقلق دقائق وسيأتينا الخبر اليقين ..
حاول هشام الابتسام دون جدوى ومما أنقذه صوت هاتفه الذي انتزعه في هذه اللحظة وعندما نظر إلى الشاشة التقط الرقم بسرعة فانتعض وجهه بشدة قبل أن يعتذر لمضيفه ويخرج لاستقبال المكالمة ..
وبالخارج ضغط هشام زر الاجابة ولكنه لم ينبث ببنت شفة لأكثر من ثلاثون ثانية قبل أن ينطق أخيرا :
ـــ حسنا سأكون هناك في أسرع وقت ..
وأنهى المكالمة مباشرة قبل أن يعدل من وقفته ويتجه مرة أخرى إلى مكتب الضابط المضيف وهو يبتسم ببرود قائلا :
ـــ لي عندك خدمة هامة ؟؟
ـــ فقط أؤمر !!!
ـــ أريد أن أصل إلى دير الملاك جبرائيل بأسرع وقت ؟؟
رفع رئيس المباحث حاجبيه مندهشا :
ـــ ولماذا ؟؟!!!
ـــ أرجوك هذه خدمة لن أسلاها لك أبدا .
مط ضابط المباحث شفته السفلى قبل أن يقول :
ـــ حسنا ولكن هل أتصل بك عندما ترد معلومات عن ...
لم يعطه هشام الفرصة لأكمال جملته وهو يقول :
ـــ بالطبع بالطبع ..
قبل أن ترتسم على وجهه ابتسامة ساخرة وهو يتمتم :
ـــ عندها سيكون الأمر كله أنتهى تماما ..

وما هي إلا دقائق حتى كان شرطي من مديرية أمن الفيوم يركب سيارة هشام بجواره وهو يضغط دواسة الوقود بلا هوادة أو رحمة ..

****

الوصول إلى مكان مثل دير الملاك جبرائيل ببرية النقلون ليس بالأمر العسير خاصته أن عدد الأديرة بالفيوم ليس كبير كما أنه يعد الأشهر بين أبناء المدينة التاريخية فهو الثاني بعد دير الأنبا ابرام ولهذا لم يستغرق الأمر كثيرا من الجهد حتى كانت ليليت تسارع الزمن لتقف بسيارتها أمام باب الدير الضخم ويعلوه برجين كنسيين رباعي الأضلاع يعلوهما صلبانا ضخمة من الحديد ....

خلال دقائق معدودة كانت ليليت تتحرك في حرية خاصة مع بدء توافد الزائرين والمصلين لتأدية الصلاة المسائية ...

من بين الجموع اقترب أحد القساوسة من ليليت :

___ بنيتي هل تريدين الإعتراف ؟؟

نظرت إليه نظرة لم تنقصها السخرية قبل أن تقول :

-- لا سأخذ جولة للتبرك ومن ثم أفكر في هذه المسألة ..

نظر إليها القس نظرة ريبة قبل أن يهز رأسه وينصرف ..

وقفت ليليت لتلقي نظرة طويلة على المكان حتى استوقفها الطريق الجبلي المؤدي إلى الكنيسة القديمة على الجانب الأخر من الدير وهناك على اليسار تقع ساحة شاسعة من الدير أستغلت كمزارع للنعام والدواجن فابتسمت ساخرة وهي تغمغم :

--- هل هو بيت للرب أم حظيرة للدواجن !!!!

هناك على مد البصر يمينا كانت قلايات الرهبان وبعدها تفبع أطلال لبنايات تحت سفح تلة شيدت كاملة من طوب اللبن لا تظهر معالمها فربما تكون كنيسة قديمة أو بعد قلايات الرهبان في العثور الغابرة قبل التحول إلى ما يشبه المنتجعات السياحية والغرف المجهزة ..

كان الاختيار صعب جدا على ليليت فمع هذه المساحات الشاسعة

كانت الحيرة تكاد تقتلها فمن أين عليها البدء وترى أين قد يكونان !!!
في هذه اللحظة اقترب منها كفل لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره يرتدي زيا كنسيا فاتح اللون مطرز بالصلبان الذهبية اللون عرفته من فورها إنه أحد الشمامسة الصغار .
اقتربت ليليت منه وقالت :
-- هل صادفت اليوم رجل وامرأة كانا بصحبة أحد الرهبان ؟؟
صمت الشاب اليافع لجظات قبل أن يقول :
-- إن الأعداد التي تزور الدير كبيرة جدا والجميع يصحبون الأباء تبركا بهم ..
كادت الدنيا أن تظلم في وجهها قبل أن يردف الصبي :
-- لحظة هناك رجل وامرأة أتيا في وقت مبكر وكانا في صحبة الأب غبريال ..
قالت مندهشة :
-- ولماذا تظن أنهما من أسأل عنهما ؟؟!!!
قال :
-- لأن أبانا غبريال لا يقابل أحدا رفم ذلك جاءا إليه واصطحباه ..
تحسست شعره في حنو وهي تبتسم وقد لمعت عيناها بظفر :
-- وأين يمكنني العثور على الأب غبريال ؟؟
-- الحقيقة لا أعرف أين هو الأن ولكنني أعرف قلايته .
-- حسنا لتصطحبني إليها باركك الرب ..
دون تردد تحرك الصبي في هدوء وخلفه تحركت بحذر وهي تتخيل وقع المفاجأة عليهما لتعلو شفتيها ابتسامة أقل ما توصف إنها شيطانية ..
****

حقيقة الأمر أنني لم أفهم شيئا من هذه القصة العجيبة !!!

قالها أدم وهو عاقدا حاجبيه في حين ظل غبريال الراهب مبتسما وهو يقول بصوته الهادئ :
--- عماذا تحدثت في بحثك الذي ذكرته لي في البداية ؟؟
--- لقد أخبرتك أنه عن المنظمات السرية التي تسعى للسيطرة على العالم وعلاقتها بالمنتظر !!!
قال غبريال :
-- ومن أين بدأت في بحثك ؟؟
-- من البداية تقريبا !!!
-- أرجوك حدد الزمن التاريخي لبداية بحثك ؟؟
قالت يارا بغضب مكتوم :
-- حقيقة لا أعرف لماذا نضيع هذا الوقت في الحديث عن بحث أدم وقد أسهب في الحديث عنه سابقا ؟؟!!!!
ضحك الراهب وقال :
-- الصبر يابنيتي الكل هنا مترابط فالاستاذ أدم بدأ تاريخ المنظمات من بداية ظهور فرسان الهيكل لكن هذه البردية تعود إلى قبل ذلك بأكثر من ألف سنة وتحديدا أربعمائة سنة قبل الميلاد وهي باختصار خطاب لأحد الرهبان يروي فيه عن مقابلته لشخصية غامضة عند سفح الهرم وهناك روى له ذلك الغامض عن لقاء في مكان ما غرب العالم حيث النور والظلام يجتمعان ليتم تحالف قوى الشر بين شيطان الإنس وشيطان الجن بعلزبول ومن هناك وضعت أول بذرة لتغيير وجه العالم وكان هذا الأمر قبل المسيح إلا أن المخطط توقف طوال زمان الأنبياء لحكمة إلهية ..
ومن هنا يتضح لنا أن المؤامرة قديمة جدا جدا هل اتضح الأمر ؟؟؟
قال أدم وذلك البريق في عينيه :
-- إذا الفرسان والماسونية ما هما إلا التطور الحالي لاتفاق شيطاني تم منذ ألاف السنين !!!

قالت يارا متعجبة :
--- إن ما أعرفه أن فرسان الهيكل تمت ابادتهم في العصور الوسطى بأمر من البابا فما علاقتهم بالحاضر ؟؟!!
--- بشكل نظري نعم هذا صحيح لقد تمت تصفية أكثرهم بتهم الهرطقة وعبادة الشيطان لكن أفكارهم كان لها رسل في كل مكان حافظوا عليها وطوروها فالماسونية هم الامتداد لهم معتمدين كما في السابق على النشاطات الانسانية المعلنة وأنشطتهم السرية التي تنحصر على الدرجات المتقدمة من الماسون وهم المتنورون ويمكنك ملاحظة الرموز مثل الجمجمة والعظمتين فهما رمز ماسوني وكذلك رمز عبادة الشيطان ورمز لأكبر أخوية ضمت الكثير من قادة العالم وجماعة الصليب الوردي شديدة التمسك بفكرة الجريل ..
قالت يارا وقد شعرت بدوار في رأسها :
-- كل هذا مفهوم الأن ولكن لماذا يسعى هؤلاء لقتل والدي ؟؟؟
قال أدم :
-- ان فرسان الهيكل وهم الرعيل الأول للفكر الماسوني كما كنت أعتقد كانت تهمتهم السرية التي حوكموا من أجلها بالإضافة إلى معتقداتهم التي خالفت الكنيسة هي أيضا تمهيدهم لظهور المنتظر الذي تعده الكنيسة الدجال ولهذا اجتهدوا في البحث عن العقبة الأهم ...
-- وما هي هذه العقبة ؟؟!!
قال غبريال :
-- الجريل ... الكأس المقدسة ياعزيزتي ..
-- تماما لقد بحثوا طوال الوقت أثناء وجودهم في القدس عن الجريل معتقدين أنهم سيجدونه هناك حتى أنهم رفضوا الاقامة في القصور واختاروا الاسطبلات كمعسكر لهم متعللين بالذهد لمن الحقيقة كانت البحث وعند اشاعة الأمر استطاعوا اقناع

قطاع كبير وقفقتها أنهم جاءوا لحمايته ولكن هذه ليست سوى كذبة فللكأس حماة ضحوا بحياتهم فداءا له ...
رفعت يارا حاجبيها مندهشة :
-- هل تعني أن كل هذا من أجل قدح ؟؟!!!
قال أدم :
-- إن هذه هي المشكلة الكبرى فما هي حقيقة هذه الكأس فبعض المنظمات الذين شكلوا سلسة لحمايتها ظنوا لقرون أنهم يحمون الدم الملكي أي أبناء المسيح من زوجته مريم المجدلية ..
--- نعم فهذا من ينقصنا روايات دان براون وشيفرة دافنشي !!!
ضحك غبريال وهو يقول :
-- للأسف أن هذا اعتقاد الكثيرين لكن هذه الفكرة أقدم من هذا الكاتب وروايته بسنوات وسنوات وإن كان أعاد فتح هذا الباب الذي أغلق بقوة غامضة وتم طمسه ولعلك ستندهشين إذا أخبرتك أن الجريل أقدم من المسيح ذاته ...
-- ماذا وكيف هذا ؟!!!
قالتها يارا وفكها السفلي يكاد يلامس الأرض مندهشة ..
-- الكأس المقدسة أو الجريل تعود بحسب العديد من المراجع تعود إلى العصر السلتي (وهو ما قبل المسيحية) مثل كأس الجامشيد الفرسي والجنة الهندوسية ولعلك تندهشين إن لها أصول في الثقافة الاسلامية العربية !!
-- معقولة ؟؟!!!
-- نعم فهي أيضا تمثل المزهرية عند المسلمين الأندلسيون بل قيل أن بداية الفكرة تعود إلى مخطوطة عربية وجدت في طليطلة بالأندلس ..
ولعل المثير في هذا الأمر هو اتباط الكأس المقدسة بأسطورة غامضة وهي الملك أرثر وفرسان الدائرة المستديرة ...
كل هذا كان فوق تصور عقل يارا والتي رغم ثقافتها العامة

كانت كأنما تغوص في بحر من معلومات قادمة من كوكب أخر فهل يمكن لمعتقد مثل الكأس المقدسة يتغلغل في التاريخ باختلاف ثقافاته وحضاراته بل يكون تأثيره في مجرى الأحدث إلى هذا الحد !!!!!

في هذه اللحظة تدخل أدم ليضيف قائلا :

-- كل هذا يهون بجانب معتقد أشد طقسية وغموضا يرجع الفكرة أن الكأس زمردة سقطت من تاج إبليس (لوسيفر) أثناء معركته مع الملائكة والتي خسرها وانتهت بأن جاء به الملائكة إلى الأرض ....

توجهت يارا بحديثها إلى الراهب غبريال :

-- ولكن كيف اقترن بالمسيحية ؟؟

-- تعود إلى قصتين رئيسيتين تعود الأولى إلى العشاء الأخير أو العشاء الرباني الذي جمع بين المسيح وتلاميذه وهو ما يعرف اليوم بطقس التناول أما القصة الثانية فتعود إلى تلك الكأس التي جاء بها يوسف الرامي ليجمع به قطرات دم المسيح وزعم البعض أنه ذهب بها إلى بريطانيا !!!

تنهدت يارا نفسا عميقا ملأت به رئتيها من الهواء قبل أن تقول وهي شاردة الذهن :

-- إنه لأمر محير حقا ..

ثم التفتت اليهما قائلة :

-- ولكن يظل اللغز قائما ما علاقة كل هذا بوالدي وما نحن بصدده الأن ؟؟!!!!

ابتسم غبريال وقال :

-- بل هو الأمر كله ياعزيزتي فهذه الأوراق تشير إلى الماسون يوضوح واشارة الدكتور للجريل ليست مصادفة إذا علمنا أن فرسان الهيكل هم أكثر الباحثين عن الجريل شراسة وتفانيا وأن الماسون هم ورثتهم الشرعيين بالإضافة لمخطوط يتحدث عن لقاء شيطاني فإذا أخذنا النور والظلام كضدين

وقطبين الشيطان يمثل أحدهما والجريل برمزيته القطب الأخر نكون في الحقيقة على الدرب الصحيح وأن الدكتور مختار بشكل أو بأخر كان منغمسا في هذه المعركة وقد يكون توصل إليه وهذا ما دفعهم لقتله ....
قالت يارا بذهول :
-- توصل لماذا بالضبط ؟!!
قال أدم وقد عبس وجهه بشدة :
ـــ إلى السر الأخير ... السر الأخير .....
****

من بعيد التقطت أذنا ليليت صوت خطوات ارتد صداها على الأرضية الحجرية المؤدية إلى قلالي الرهبان وهي حجرات الرهبان ومكان اعتكافهم وهي تتكون داخل الدير من بناء متصل منفصل عبارة عن مبنى من طابقين في كل طابق غرف متجاورة منفصلة وسلم خارجي يؤدي إلى الحجرة العلوية ويمثل البناء زاوية قائمة وتقابل الزاوية تماما في منتصف الأرضية الحجرية نخلتين متصلتا الجذور تشكلان حرف v إحداهما تميل بزاوية حادة ..
أسرعت ليليت خلف النخلتين وهي تحاول كتم أنفاسها فهذا الوقت لم يكن وقت عودة الرهبان إلى قلاياتهم فاشرأبت بعنقها قليلا لترى راهب بزيه الكنسي المعروف وعلى جانبيه يسير شخصين عرفتهما فورا لقد كانا هدفها تماما يارا وأدم لا يفصل بينها وبينهم سوى خطوات قلائل ولكن اعتراضهم الأن في مكان مكشوف قد يسبب فشل أخر لمهمتها وبصعوبة أقنعت عضلاتها المتحفظة بالصبر حتى يصل الراهب إلى قلايته وبصحبته ضيفيه ....
كانت حجرة بسيطة بها التجهيزات الأساسية لحياة شبه مرفهة لعل المشهد صدم أدم للوهلة الأولى لعله ظن أنه سيرى كل

نماذج التقشف داخل الحجرة !!!!

احتوت الغرفة على فراش ومكيف هواء ومنضدة عليها نسخة ضخمة من الكتاب المقدس ومجسم صغير يمثل المسيح معلقا على الصليب وعلى الجدار كانت صورة للعذراء ضخمة نسبيا داخل اطار بالاضافة لبعض صور أصغر حجما لبعض الصالحين والقديسين المعتد بهم في الكنيسة ..

اقترب غبريال الراهب من براد كهربائي صغير وتناول منه زجاجتين من العصير ناولهما إياها .....

بدا الاندهاش واضحا على وجهي الضيفين مما جعل غبريال يلاحظ الأمر ببساطة فقال وكأنما الأمر لا يعنيه :

-- لم تعد الرهبنة كسيرتها الأولى بل سارت في طريق الترف المطلق لعل ما ترونه هو التقشف بالنسبة لما تشهده كنائس وأديرة أخرى فلم يبقى من الرهبنة سوى الشكل فقط من حيث الاعتكاف وهذا ما يؤرقني بشدة ولقد كنت أسعى فعليا للانتقال إلى دير أخر أشعر فيه بجوهر الرهبنة لكن القدر الذي وقف حائلا دون انتقالي لحكمة سماوية ليسوقكما إلي اليوم لتشهد هذه الأرض التي شهدت أول ترجمة لكتاب المقدس إلى العربية في القرن السابع الميلادي ليصل إلى الكتاب إلى الناطقين بالعربية ليكون لابن من أبناءه مرة أخرى بعد أكثر من ثلاثة عشر قرن دور أخر في التنوير وتبليغ رسالة للعالم هي الأخطر وتكونان أنتما الرسل كما كان الخليفة المسلم سبب ترجمة الكتاب ...

كانت يارا تجتاحها عاصفة من التوتر بدا في نبرتها وهي تقول :

-- أعتقد أننا أضعنا الكثير من الوقت هنا دون الوصول إلى حل لمشكلتنا ؟!!

قال غبريال وهو يحاول طمأنتها بابتسامة عذبة :

-- الصبر ياعزيزتي إن لولدك حكمة في الوصول إلى هنا

حتما ..
-- أيها الراهب هناك من قتل والدي ويطاردنا الأن لقتلنا دون سبب ونحن محبوسين بين صفحات كتاب عتيق من الأساطير والقصص القديمة ودروس عن الدير والرهبنة وال....
كادت تكمل لولا تدخل أدم الذي لاحظ حدة نبرتها التي ارتفعت بعصبية فقال محذرا :
-- يارا حذار ...
ابتسم غبريال مهدئا للأجواء وقال بوقار:
-- سأخبرك حالا بما تريدين ياعزيزتي ولماذا أرسلك والدك إلي ..
شخصت الأبصار إليه وهو يستطرد قائلا :
-- إن الكأس المقدسة له معنى محدد رغم اختلاف الاختلافات الشكلية ألا وهي الحياة البشرية الكاملة بالقرب من الرب وبهذا هو الجنة والحياة الأبدية وعنصر الأنثى الذي يمثل الخصوبة واستمرار الحياة وهو ما يرمز له مفتاح الحياة الذي يمثل شكل الرحم الأنثوي وبالتالي فلوسيفر يمثل النقيض تماما وهو الهلاك والموت والجحيم وكل ما هو ضد الالبدية والحياة ولأن القصة لا تخلو من حقيقة المعركة بين الخير والشر على مدى التاريخ وكما كان لأتباع لوسيفر منظمات تنفذ مؤامراته كانت هناك منظمات تقوم بالنضال لافشال هذه المؤامرات أيضا تتوارث المهام جيلا بعد جيل ووالدك كان جزء من هذا ..
-- ولهذا مات .....
****

رغم المجهود المتواصل وأثر الحادث الذي تعرض له حسين إلا أنه بدا في أوج نشاطه وكذلك عقله الذي لم يعتاد على التوقف عن العمل بكفاءة إلا أن اللغز الذي يواجهه مازال يحيره بشدة ولسبب ما قرر الأحتفاظ بكمية كبيرة من المعلومات التي استطاع الحصول عليها بعيدا عن أي مخلوق ...

فكل ما يحيره هي تلك العلاقة الغامضة التي جمعت بين طبيبة أجنبية من أصل مصري ورغم ذلك لم تزور مصر مطلقا قبل هذا رغم زيارة والدها السيد عبد الجليل منذ فترة ومن ثم اختفائه المريب فلا أحد يعرف عنه شيء ورغم ذلك كل المعلومات عنها تشير فقط إلى محاولات اتصال مع دكتور مختار الذي لا تربطها به علاقة واضحة وفجأة تقوم بعمل متهور لتهريب المتهم أدم ؟؟!!!!

والسؤوال الذي لا زال يطرح نفسه بشدة ما دافع أدم لقتل الدكتور مختار ثم تورط يارا نفسها بهذا الشكل ؟!!!

بدا الأمر متشابك بشدة مما جعلها القضية الأولى التي يشتم فيها رائحة غريبة لم يعهدها وقد أخبرته حاسته الأمنية أن الأمر يفوق كونها مجرد جريمة !!!!

كانت الأفكار تتشابك بشدة في رأسه وهو يقود سيارته بسرعة على الطريق الصحراوي المؤدي إلى مدينة الفيوم بعدما علم أن هشام استطاع التوصل إلى مكان المشتبه بهما في أحد الأديرة كان هدفه الأكبر والذي تفوق على توقه لإضافة قضية جديدة ناجحة إلى سجله هو الوصول لحلول لتلك الألغاز العالقة في ذهنه ..

دق هاتفه النقال كان مباشرة أمام مدخل المدينة وهو يجيب على هشام الذي بدا كأنما أخبره بأنباء سيئة جعلت وجهه يتجهم بشدة قبل أن يقول في غضب :

-- وأين يمكنهما الفرار هذه المرة ؟؟؟

صمت لحظات قبل أن يقول بنبرة حادة :

-- دقائق وأكون معك لأرى بنفسي هذه المهزلة ..... لا لا يمكنني الوصول بمفردي سلام ..

وضع الهاتف جانبا وهو يغمغم في فضب :

-- يبدو أن الأمر سيطول بعض الوقت ...

****

11

كانت صاعقة حقيقية سقطت فجأة على رأس كلا من أدم ويارا كذلك الراهب غبريال الذي سقط فكه من المفاجأة وهم يرون ليليت تقف مباشرة أمامهم عند باب الحجرة وفي يدها مسدسها الضخم وعلى شفتيها ارتسمت الداكنتين ابتسامة ظافرة وعيناها تلمعان بشدة ....

-- لقد انتهى الأمر الأن أيتها الجميلة ....

قالتها ليليت موجهة كلامها ليارا التي استطاعت تخطي المفاجأة بسرعة ولتتحول ملامحها الفزعة إلى صرامة عجيبة وهي تقول :

-- أكثر ما يحيرني لماذا اخترتي هذا الطريق لنفسك ؟!!

ضحكت ليليت بغرور وهي تقترب خطوتين وتقول :

-- لماذا أظل حواء التابعة الضعيفة في حين يمكنني أن أكون

ليليت القوية التي تملك خياراتها بنفسها ؟؟
قالت يارا :
-- دائما أنتي تسعين خلف طموح بلا حدود لكنك هذه المرة تحديدا لن تجني سوى وهم وسراب ..
كانت ضحكة ليليت هذه المرة أكثر صدى وهي تقترب من أذن يارا :
--ستنالين هذا الشرف أنتي وحدك وأنا ألبس تاجي الذي خلقت من أجله ..
لم تكمل ليليت حديثها فلقد استطاعت يارا بجعلها تتخلى عن حذرا مما أعطى الفرصة لها لكيل لكمة كأنها قنبلة على فك ليليت أفقدتها توازنها للحظة كانت كافية لأدم الذي قفز ليمسك بيدها التي تحمل المسدس لكن ليليت كانت خبيرة في الاساليب القتالية فاستدارت بخصرها لتركله في ظهره بقوة مما دفعه نصف خطوة للأماما ولكن يارا كانت قد عرفت لكمتها الثانية طريقا لفك ليليت قبل أن يستدير أدم ويدير ذراع ليليت بقوة إلى خلف ظهرها ويدفع بها بقوة باتجاه الطاولة لتصطدم بقوة جعلت أنة مكتومة تتجاوز شفتيا رغما عنها لكنها استطاعت الحفاظ على سلاحها في يدها لتوجهه مباشرة إلى أدم وتضغط الزناد لتنطلق في الغرفة صرخة قوية .....
كانت الإصابة من الخلف مباشرة ولم تنطلق رصاصة ليليت بل هناك عند الباب مباشرة استطاع أدم

ان يلمح شبحا قبل أن يسقط أرضا ..
نظرت ليليت في اتجاه الباب لتعرف ذلك الرجل الواقف هناك مما جعلها تطمئن أنه في صفها فوجهت فوهة مسدسها تجاه رأس أدم المسجي أرضا وكادت تضغط الزناد لولا صوت الرجل قائلا :
-- لا ... رصاصة أخرى كفيلة بأن تأتي بالعشرات إلى هنا ..
ثم أشار إلى يارا وأردف قائلا :
-- هي معنا الأن هيا بسرعة ..

اقتربت ليليت من يارا وضغطت مسدسها في صدغ يارا وقالت :
-- لا أريد نفسا وإلا فجرت تلك الرأس الجميلة في لجظة واحدة سيري بهدوء ...
نظرت يارا إلى أدم الذي ما زال مسجي أرضا وقد ترقرقت من عينيها دمعات حزينة رغما عنها قبل أن تتحرك في هدوء مع ليليت التي استدارت فجأة إلى غبريال الذي احتضن صليبه المعدني وانكمش في نفسه ودون تلادد أطلقت النار على رأسه مباشرة قبل أن تخرج من الغرفة تدفع بيارا مما جعل الرجل يخرج خلفها وهو يصرخ فيها بعصبية :
-- لماذا فعلتي هذا أيتها العاهرة ؟!!
ابتسمت ليليت بصعوبة ساخرة :
-- انني أحميك أيها المغفل فلقد رأك ثم أنني أكره هؤلاء ...
نظر الرجل إليها في ذهول متعجبا من هذه المرأة الشرسة التي لا تهتز لاراقة المزيد من الدماء حتى لوكانت بريئة قبل أن يضع مسدسه في حزامه ويعود إلى الحجرة ليجد هناك مفاجأة أكبر كادت توقف قلبه عن الخفقان في نفس اللحظة التي امتلأت الحجرة بأفراد من شرطة الحراسات وقساوسة ورهبان وهم ينظرون بين الراهب غبريال الواقع بين بركة من الدماء والضابط هشام الواقف أمامهم مباشرة ليخرج من جيبه بسرعة بطاقة تعريفه وهو يقول :

-- أنا من الشرطة لقد قتله مجرم هارب ولقد فر من هناك ..
وأشار إلى نافذة في ركن الغرفة مازالت دلفتها تهتز وعليه بعض قطرات من الدم حيث قفز أدم مباشرة قبل أن يردف قائلا :
-- لقد أصبته لكنه نجح في الفرار ...
قال هذا وهو يعتصر مرارة الأيام كاملة في حلقه ....

****

لحسن حظ أدم أن اصابته كانت سطحية إلا أن الألم أسقطه أرضا لكنه استعاد وعيه بسرعة واستغل خروج هام خلف ليليت ليقفز من نافذة صغيرة في ركن الغرفة وكان ما يؤرق هشام أن أدم حتما سيهدد مستقبله المهني ..

انطلق هشام ومعه فردين من الحراسات بسرعة محاولا الحاق بأدم المصاب إلى خلف مباني القلالي حيث تؤدي النافذة فحتما أدم بإصابته لن يستطيع الابتعاد مع هذا الجمع الذي جذبته أصوات الرصاص والحركة المريبة وهي نفسها الجموع التي استغلتها ليليت للخروج مع يارا ..

كان خيطا رفيعا من الدماء يمتد من النافذة وحتى غجدى التلال الصغيرة حيث اختفى الخيط مما جعل هشام يبتسم ظافرا وهو يصعد التلة لكنه لم يجد أحدا مطلقا .....

عند عودة هشام إلى غرفة الراهب كان أول من استقبله المقدم حسين الذي اتصل به قبل ان يتحرك من مكانه لاثبات حالة ولكن حسين لم يعطه فرصة للنطق بحرف واحد فانفجر بشدة في وجهه :

-- أي فشل أواجهه هنا كيف يمكن لهما الفرار من بي يديك أيها الضابط وأين هي تلك القوة التي استعنت بها لحصار المكان ؟؟؟؟

تلعثم هشام للحظة وهو يقول :

-- لم تكن هناك أية قوة كما أن الأمر كله حدث بسرعة وبصورة مفاجئة بعدما قتل الراهب !!!!

ألقى حسين نظرة على الراهب المقتول قبل أن ينظر إلى هشام غاضبا :

-- علي العودة إلى القاهرة الأن وسوف نتابع التحقيقات من هناك وزع منشور بمواصفاتهما ..

لم ينتظر الأخير ردا وهو يتوجه مسرعا إلى سيارته ليتجه مباشرة إلى القاهرة وبسرعة .....

****

في مكان مجهول وعلى أرضية رطبة وساحة مظلمة وعند ركنها تماما في اضاءة شبه معدومة جلست يارا القرفصاء لتشعر بيديها وقدميها مكبلتين بقوة حاولت التفحص في المكان حولها علها تعرف أين هي لكنها لم تستطيع رؤية شيء سوى شبح لامرأة عرفتها للوهلة الأولى انها ليليت رغم الدوار الذي تشعر به جراء المخدر الرزاز الذي استخدمته ليليت معها بمجرد ركوبهما السيارة ..

-- هل استعدتي وعيك ؟؟

كانت نبرة ليليت تتحلى بالشماتة والسخرية ...

قالت يارا بصوت متهدج :

-- أين أنا ولماذا جئتي بي إلى هنا ؟؟؟

-- أنتي الأن حيث سيتم اعدادك لنيل شرف مقدس لكن للأسف لن تعيشي لتفخري به ....

انفجرت ليليت ضاحكة بسخرية في حين سمعت يارا صوتا بدا مألوفا ليارا يقول :

-- اتركيها الأن يا ليليت ..

-- هل لازلت تعطف عليها ؟!!!

قالتها ليليت بعصبية

-- لا يا ليليت ولكن يجب تجهيزها بشكل جيد تماما فلا مكان الأن لعاطفة من أي نوع ..

كلنت الاضائة عائقا لتتأكد يارا من صاحب الصوت الأجش الذي بدا شديد الألفة في حين سمعت خطوات قوية وباب حديدي يغلق بشدة علمت من خلالها أنها صارت منفردة ..

في الظلام راودتها صورة أدم لتنهمر من عينيها بالدموع الحارة تلهب خذيها الرقيقين لترفع عيناها إلى السماء ناظرة إلى الفراغ المطلق الذي صنعه الظلام وتعض شفتيها حسرة ولعة وأما عيناها يمر شريط من الذكريات القريبة خاصة أدم ذلك الشاب الذي ظهر فجأة في حياتها حتى شاهدته يسقط أرضا غارقا في دماءه ورغم الفترة البسيطة والظروف الرهيبة التي جمعتهما إلا أنها تشعر

تجاهه بشيء غريب كأنما عرفته عمرها كله وكانت تقترب من اخباره بهذا لولا أن الرصاص سبقها إلى قلبه ...
لوعة الحب كادت أن تنسيها تماما ذلك الظلام المرعب والمصير المجهول الذي ينتظرها .....
****

■ إنها طائفة من عبدة الشيطان هم من قتلوا الجميع ...
قال هذا أدم الذي أمسك بذراعه المصابة وقد ضمدت جراحه بشكل بدائي بدا أنه لم يعرض على طبيب وهو يجلس على فوتيه متوسط المستوى كباقي أثاث هذه الشقة المتوسطة وأمامه مباشرة ظل ذلك الرجل الذي بدت نظراته المتشككة تقتحم خلجات أدم من بين دخان السيجارة قبل أن يقول الرجل :
-- في السابق كان من قتل الدكتور مختار هم الماسونيون والأن تخبرني أنهم عبدة الشيطان أي مجموعة من المدمنين والجامحين هه ومطلوب مني أن أكون كالغر الساذج لأصدقك في هذا الهذي وأظل أستمع لقصصك ولهذا أتيت بك إلى منزلي ؟؟!!!
قال أدم وقد يأس من ايصال ما لديه لمحاوره :
-- يا سيدي يجب أن تصدقني ث بي والأمر ليس متعارضا مطلقا فالماسونيون عبدة للشيطان أصلا وهذا ما يعرفه أصحاب الذرجات العليا في المجمع الماسوني ويمكنك التأكد من هذا عبر الانترنت هل تذكر ذلك الرمز الموشوم على جسد القتيل ؟؟
-- نعم أذكره الجمجمة والعظام إنه رمز الخطر !!!
-- لا انه رمز لمنظمة تسيطر على العالم مشتقة من الماسونية اسمها الجمجمة والعظام وهي تقدس الشيطان ومن ينوب عنه وهذه المنظمة تسعى برجالها النافذين عبر العالم

لاعداد العالم لاستقبال هذا المعبود ...
ناوله حسين سيجارة وهو يفكر قليلا قبل أن يتذكر شيئا هاما فأخرج من جيبه قلادة على شكل جمجمة ناولها لأدم وقال :
-- هل هذا رمزهم ؟؟
-- من أين أتيت بها ؟!!
-- لقد وجدتها في شقة يارا بعد فراركما لقد اقتحمها أحدهم قبل وصولنا ..
-- انها هي حتما ..
-- من هي ؟؟
اعتدل أدم بصعوبة وهو يواجه المقدم حسين وقال :
-- انها امرأة شرسة تنتمي لهذه الجماعة وهي من حاولت قتلنا بالدير كما هاجمتنا في منزلي اثناء فرارنا لقد ارتدت أيضا قرطين يحملان نفس الرمز ..
قال حسين باهتمام :
-- انها اذا من كادت تصدمني بالزقاق عن بيتك ..
قال أدم :
-- هل قابلتها ؟؟
-- كلا فدائما تسبقني بخطوة وهذا أمر محير جدا ولكن لتتابع ما عندك ..
نفث ادم دخان سيجارته بعمق وقال :
-- إن كل هذه المنظمات لها رأس واحدة وهدف واحد رفم ما قد يبدوا من اختلاف ظاهري بينها فكلها تسعى لانشاء دولة عالمية يحكمها شخص بعينه معروف بعزازيل أو ابن الشيطان وهي تمتد لأساطير قديمة تعني بالحياة الأبدية والهلاك أوالجحيم وكما أن هناك منظمات شيطانية هناك منظمات أيضا للحفاظ على الحياة البشرية ومن هؤلاء الدكتور مختار والدكتور محمد جمال ويثبت هذا مفتاح الحياة الذي أريتني إياها عند زيارتك الأولى لي وهم دائما لديهم

سر هو السر الأخير الذي يسعى خلفه الشيطانيون ..
-- وما هو هذا السر ؟؟
-- هذا ما أجهله حتى الأن ...
وساد صمت مكبق عليهما تماما .....
****

وقف الكاهن الأكبر في منتصف قاعة المعبد ووجهه مستبشرا بشدة بزيه البراق تتوسطه نجمة الشيطان الخماسية وهو يتحدث بصوت مرتفع كأنما يخاطب شخصا ما :
-- لقد حانت اللحظة التي استغرقت قرون وقرون الأن ستأتي ياسيدي لتغير هذا العالم ليسجد جميع العالم بعدما لعنوك لقرون وقرون فتثبت لهم أنك الأقوى والأحق ... إن جهلهم منعهم من معرفتك على حقيقتك النورية فأنت ملك هذا العالم ..
كان المشهد مسرحيا جدا تحت هذه الاضاءة الخافتة والكاهن كأنما يصلي لمعبوده بين حوائط حملت العديد من الأيقونات المقدسة كالصلبان المقلوبة والنجوم الخكاسية والسداسية والحربة الشيطانية مع بعض الرموز العجيبة والتي تبدو أنها تنتمي للغة قديمة أو سرية ...
-- أخيرا سأكون ليليت التي تستحق العرش ؟؟
انتبه الكاهن على صوت ليليت التي قطعت عليه تلك المناجاة المهيبة فنظر إليها مبتسما :
-- أوه ليليت ياعزيزتي لقد قمت بواجبك كاملا وتستحقين فعلا هذه المكانة كما اختارت هي أن تكون في مكانها فعندما أطلق عليها اسم يارا كأنما القدر أراد لها هذا الدور تحديدا كما اخترت لكي اسمك لتكوني أنتي الجالسة على العرش بجوار سيدنا كما كانت هي ليليت الأولى التي رفضت أدم وتسلط العجوز الجائر على البشرية واختارته وحده ....
كانت ليليت قد اقتربت منه وبدت شاردة الذهن فقال لها :

-- أوه عزيزتي ماذا بكي ؟!!
-- كنت أتعجب لإيمانك القوي الذي جعلك تفعل كل هذا بها بل بأي شخص يقف أمام طريقك هذا ؟!!!
احتضنها الكاهن بقوة وقال :
-- إنني اشبهك كثيرا ولكنك مازلتي صغيرة ياعزيزتي ورفم ايمانك المطلق الذي أثق به لم تفهمي أن هناك بشر لم يخلقوا إلا ليكونوا كباشا تذبح على المحرقة المقدسة من أجل هدف أسمى وهي من هؤلاء أما نحن عزيزتي فلنا الأرض نرثها مع سيدنا فنحن اخترنا الأقوى وهي ووالدها اختاروا ما ورثوه من المخرفين القدماء من قيم ومبادئ وعقائد واهية محبوسة أرواحهم بين جنباتهم مكبلة بالحرام والحلال وما يرضيه أو لا يرضيه أما هي فاختارها هو بنفسه لتكون كبش المحرقة هل فهمتي الأن ياعزيزتي ؟
أومأت برأسها مجيبة :
-- نعم ولكن !!!
-- ليس هناك لكن هذا مصيرها وهي وافقت عليه ضمنيا وهذا مصيرنا اخترناه لأنفسنا هي تموت ليحيا العالم فهل تظنين أن العالم أحياء نحن نريد لهم الحياة ..
طأطأت برأسها وهمت بالخروج قبل أن يستوقفها قائلا :
-- كان يمكن أن تكون هي ليليت لكن العظيم اختارك كما اختارها ذلك المتجبر لترثي تلك القوية الثائرة أول من تمرددت على أحكام القهر فرفضت جنة هي قفص من ذهب هي فهمت الحقيقة لا فرق لدى عصفور حبيس بين قفص من حديد وأخر من ذهب فكلاهما قفص هل تعتقدين أن اسميكما مصادفة ؟؟ مطلقا فيارا تعني الحياة الجديدة بما يصورها رجال الدين أما ليليت والتي وصمها البشر بالخيانة هي الصورة القوية التي تتحدى الموت لتربح في النهاية مكانها بجوار لوسيفر وعزازيل ..

أومأت برأسها موافقة وخرجت في هدوء وهي تستعيد ي رأسها ذكريات بعيدة عن اليهودي ليفي وما قبله بكثير ...كثير جدا ...
****

■ الدكتور مختار كان كبير الحراس لهذا السر في زماننا هذا وعندما قام بدوره في حفظ السر قتلوه ...
كان حسين رفم شعوره بصدق أدم إلا أن عقليته البوليسية التقليدية كانت تواجه صعوبة في فهم هذه الموضوعات العقائدية الغامضة وما يدعم صدق أدم عنده بعض أوراق وجدها حسين عند الدكتور مختار ومثلها عند الدكتور محمد جمال تشير إلى حديث مشابه لم يفهمه حسين وقتها ولكن حديث أدم الأن وضح الصورة بقدر كبير :
-- القصة ياسيدي تمتد عبر التاريخ الشديد القدم بل قبل وجود الانسان نفسه حيث دارت معركة شرسة بين الملائكة وجنود لوسيفر أسر الأخير على أثرها وتظاهر بالطاعة حتى خلق أدم ومن حسده وكرهه للأخير سقط لوسيفر وأسقط معه أدم ومنذ ذلك الحين تمتد جذور المعركة الأزلية وكان دائما الرابح هو أدم بمعونة إلهية حتى وجد الشيطان ضالته في بشري يحمل بذرة شيطانية إنه (الإنتكريستوس) أو ضد المسيح أو
-- المسيح الدجال أو الكذاب لكن هذا أمر مستحيل فهو لم يخلق حتى !!!
ابتسم أدم وقال :
-- من قال هذا ؟ إنه موجود منذ ألاف السنين وهذا أعطاه قدرات خارقة وهناك أدلة واضحة على هذا لا وقت لصوغها هنا واستطاع أن يصنع لنفسه مريدين وأتباع كثيرين جدا ..
-- فلماذا لم يظهر نفسه للعالم إذن ؟؟
-- إنه يعلم جيدا أن هناك خصم قوي سيواجهه والعالم ليس

مستعد لقبوله وإن كان في طريقه بخطى ثابتة تجاه هذا ويمكنك بمراجعة تاريخية بسيطة تلاحظ الكثير بدءا من الحروب الصليبية وفرسان الهيكل ودورهم وعزل الكنيسة عن الحكم والثورات البلشفية والفرنسية والاسبانية والفكر النازي والحروب العالمية والسياسات الاقتصادية والدولية والتي استطاع عددا كبير من المفكرين الربط بينهم ولأسباب مجهولة أختفى كل من حاول كشف من وراء هذا كله لكن معلومات قليلة بقيت تشير في اتجاه واحد الصهيونية العالمية والتي تعجز عن صياغة كل هذا بمفردها لكن هناك اشارات إلى مدبر أعظم وأكبر بمكر شيطاني وخبرة ألاف السنوات ..ولكن الله جعل هناك لحكمته مقابل ومنافس قوي سيحين وقته وهو المنتظر المهدي والمسيح الحقيقي في مواجهة الدجال ..

كان الحديث غريبا جعل شفة حسين السفلية تسقط مندهشا وهو يحاول تجميع شتات نفسه ويقول :

-- كل هذا حتما مجرد نظريات مجنونة حتما رغم ثبوت المنتظر والدجال دينيا لكن وجود الأخير الأن أمر مبالغ فيه !!!

-- إنك تجعلني أتطرق لأمور دينية أنا في غنا عنها هنا لكن يكفي أن تراجع قصة السامري مع موسى وهو معاصر للزمن الفرعوني وعظمة هؤلاء في البناء خاصة الأهرامات ولماذا اختار الماسونيون الأدوات الهندسية شعارا لهم كما أطلقوا على سيدهم المهندس الأعظم كما اعتبروا الهرم الأكبر مقدسا بالنسبة لهم حتى وضع على أهم العملات الدولار تتوسطه عين واحدة .....

صمت أدم لحظات قبل أن يردف قائلا :

-- أعتقد الأمر قد وضح لك الأن ؟؟

-- لكن مصر ليست ذات أهمية كبرى خاصة هذه الفترة لتكون ميدانا لمعركتهم ؟!!

عندك حق لكن مصر تعد قدس الأقداس لهم فالمهندس الأعظم لم ينسى تلك الحضارة التي تعلم منها كل شيء والدليل الحفل الماسوني في الألفية عند الأهرام نهاية تسعينات القدر الماضي بالاقتراب مع اختيار عبدة الشيطان بقضيتهم الشهير واختيارهم للهرم أيضا هل هي مصادفة ؟؟؟؟
-- وماذا سيحدث الأن في رأيك ؟؟؟
-- أعتقد أنهم يعدون لظهوره الحقيقي هذه المرة عند قدس أقداسهم ولكن ما يحيرني هو دور يارا في هذا !!!
وصمت الجميع تماما .....
****

أضيئت الأنوار فجأة في القاعة التي حبست فيها يارا حتى شعرت بقرنيتها تحترق فأغلقت عينيها بسرعة وقبل أن تفتحها كانت تشعر بأيدي تلامس جسدها ففتحت عيناها بسرعة لتجد ثلاث فتيات يرتدين قمصانا سوداء قطنية طبعت عليها الجمجمة والعظمتين وبعض الكلمات الإنجليزية ذات حروف صغيرة ...
كانت احداهن تنزع قيودها بعنف في حين كانت الثانية تخلع عنها ملابسها أما الثالثة أمسكت بها من الخلف بقوة لتشل حركتها التي بدأت تشتد مقاومة هذا الغزو لجسدها خاصة بعد أن وجدت نفسها عارية تماما ..
تقدمت الفتاة التي حلت قيودها وهي ممسكة بحق صغير بلت سبابتها من سائل بداخله ودهنت بها نهديها وعنقها في حين قامت الأخرى تخط على جسدها رموز عجيبة بقلم أسود في كل نقطة من الجسد المرمري كل نقطة ...
فيما ظلت الثالثة تكبل حركتها بقوة وأنفاسها تكاد تحرق عنقها وفي حركة مفاجأة شعرت بحسم رطب يداعب أسفل أذنها لم يكن هذا الجسم سوى لسان الفتاة الثالثة ثم بدأت في طبع قبلة على عنقها مما جع احداهن تصرخ فيها بصرامة :

-- ليس هذا وقتا لإرضاء غراءزك أيتها العاهرة ثم أنها يجب أن تظل بريئة ....
كان الخوف يصيب أنامل يارا بخدر غريب مما جعل مقاومتها كادت أن تتلاشى تماما ..
قالت الفتاة الثالثة بخبث ورغبة واضخة :
-- إريد أن ألتهم هذا الجسد الغض ..
مما جعل الفتاة التي تهن يارا بالسائل تضحك وهي تقول للفتاة التي نهرتها :
-- لماذا لا تتركيها تستمتع بها فهذا لن يؤثر على برائتها !!!
-- هذه أوامر هي أسرعن فالوقت يداهمنا ..
أصبحت يارا كخرقة بالية بين أيديهن حتى انتهين تماما من طقوسهن وألبسنها قميصا فضفاضا لامع لا شيء تحته ثم جذبتها قائدتهن لتقفها وهي تقول :
-- حسنا قد انتهينا لنذهب ..
هنا فقط وبجهد جهيد نطقت يارا قائلة بصوت يكاد يسمع :
-- أين ستأخذنني ؟!!!
قالت الفتاة الشاذة :
-- انك العروس الليلة ذاهبة لعريسك الذي ينتظره الجميع .....
قفزت عينا يارا رعبا وهي تتخيل أسوأ كوابيسها سوءا ...
****

■ كيف لعقل يستصيغ عبادة كائن يحمل كل هذا الشر مثل الشيطان ؟؟؟!!!
قالها حسين وهو مشدوه مما سمعه من أدم الذي ابتسم وهو ينظر إلى عيني حسين مباشرة ويقول :
-- إن عبادة الشيطان قديمة قدم التاريخ ولقد تكونت لها جماعات لا تحصى وكبداية جميعنا نعلم أن القصة بدأت هناك في جنة عدن عندما رفض ابليس اللعين السجود كما أجمعت الديانات السماوية وبعض الديانات القديمة التي صاغت قصصا مشابهة ولعل كل التسميات تشير إلى كائن واحد تمرد على الأمر الإلهي فأيا كان المسمى ابليس أو الحية القديمة أو حتى شيطان والكلمة الأخيرة لها معنى يشير إلى عمق هذه العقيدة الشيطانية فالكلمة من أصلها العبري القديم من شطن ومعناها المقاوم وله أسماء كثيرة أخرى مثل بعلزبوب ويثبت هذه القصة القرءان في سورة البقرة فيقول تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ..
ويقول الانجيل كيف سقطت يازهرة بنت الصبح كيف قطعت إلى الأرض ياقاهر الأمم .& وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات أرفع كرسي فوق كواكب الل أصير مثل العلي
..... من سفر أشعياء
وهذا يشرح تماما مخطط الشيطان القديم وقد ظهرت عبادة الشيطان في كل الحضارات القديمة مثل الفرعونية فتمثل ست إله الشر أنه الضد لإله الخير أوزوريس وكلاهما له من عبده !!! وعند الهنود ظهر في صورة شو وفي بابل وأشور اتخذ صورة أخرى وكذلك العديد من الطوائف منها

الشامانية والمانوية وهما تؤمنان بقوته ومازال لهما أتباع في أوساط أسيا ويقدمون له القرابين ....
وكذلك ظهر في الغنوصية التي انتشرت مع المسيحية والتي تؤمن أن العالم هو في الحقيقة الجحيم وأنه عالم الشر ولا يمكن أن يخلقه إله خير وهم أن كل قصص الخلق مغلوطة ومن هذه الأمثلة الكثير والكثير الذين قدسوه ما بين معتقدا بأنه رمز للثورة والنتوير وما بين من عبده على شره اجتنابا له حتى العالم المؤمن لم يأمن من هذه الأفكار فقد ظهر في القرن الأول الميلادي أمثال باسيليدس وفالنتفوس ومرقيون وكان للأخير جماعة تسمى المرقونية وهم يؤمنون بإلهين أصليين قديمين ولم ينتهي الأمر حتى صارت أوروبا معششا لمثل هؤلاء ومنها الشامانية والأورفية والبوجمولية والألبية وكلهم يقدسون الشيطان ....
-- أحمد الله أن أمتنا كانت بمأمن من كل هذه الهرطقات .. قالها حسين وقد بدا هذا التصور يريحه لكن أدم ابتسم وهو يقول :
-- يؤسفني أن الأمة الإسلامية لم تكن في مأمن ففي العصر العباسي شهدت حضارتنا ظهور مثل هذه الفرق التي تقدس الشيطان وأحيانا عبدته صراحة وذلك كان من جراء الانفتاح الذي شهدته الفترة العباسية على حضارات وثقافات غريبة فتسللت أفكار من الوثنيين والفلسفات الإغريقية لتظهر حركات مثل المقنعة والخرمية في زمن أبي جعفر المنصور كما ظهرت شخصيات أعطت مكانة سامية للشيطان وتدافع عنه قائلة بأنه عابد موحد رغم رفضه السجود وبرروا ذلك أنه رفض السجود لغير الله ونجح في الابتلاء ومن هؤلاء شخصيات شهيرة جدا مثل الحلاج كما ذكر في كتابه الطواسين بل ذهب أن رفضه السجود لم يكن جريمة تستحق العقاب !!!

-- لكن كل هذا رغم غرابته يعود لعصور غابرة فلماذا استيقظت هذه الأفكار مرة أخرى الأن ؟؟؟
-- حقيقة الأمر لم ينتهي الأمر مطلقا بل تحول مع الاضطهاد لأصحاب هذا الفكر إلى السرية حتى القرن التاسع عشر فظهر شخص يدعى اليستر كروالي ووضع أسس لعبادة الشيطان في العصر الحديث و أساسها أن لكل انسان أن يعيش أو يموت وفق مزاجه الخاص كما له الحق في كل شيء الكلام وو الجنس وما شاكلها ..أما الشكل الذي نواجهه في زماننا فكان لليهودي الأمريكي أنطون ساندور ليفي في منتصف القرن العشرين ولاحظ أنه يهودي أيضا ...والذي صاغ أفكار كروالي وأضاف إليها ووضع كتاب الانجيل الشيطاني وعمل على جمع الشيطانيين بالعالم تخت مظلته وبالفعل نجح في نشر مذهبه في كثير من البلدان .....
-- الحقيقة أنني سمعت كثيرا عن الإلحاد كموضة للعصر الراهن لكن الشيطانيين ورغم تطورنا المستمر إنه لأمر يحير فعلا !!!!
-- الابليسيون للعلم نوعان أولهما إلحادي وهم من تتحدث هنهم لكن الصنف الثاني وهوالذي نواجهه الروحاني وهم من يتوجهون بعبادتهم وصلواتهم إلى الشيطان ويسمونه إله الشر وإله الظلام وحامل النور كما عند الماسونيون ورئيس العالم ....
كان حسين شديد الانتباه لمثل هذه المعلومات التي أخذ أدم يغرقه فيها وقد ازداد اعجاب الأول بأدم وثقافته الغزيرة لكن مازال هناك نقط ة غامضة :
-- مازلت لا أجد العلاقة بين عبدة الشيطان بشكلهم الذي شرحته من فساد وانحلال والماسونية العالمية التي ذكرتها لي أولا !!!!!
-- العلاقة ببساطة أن أصول الماسونية تعود إلى فرسان

الهيكل أثناء الحروب الصليبية والذين تمت محاكمتهم بتهمة عبادة الشيطان ولاضطهاد الكنيسة لهم تستروا تحت منظمات أخرى سرية مثل الماسونية الذين يعبدون المهندس الأكبر ويعدون لحكمه العالم وهم الرأس الأكثر حكمة وتدبرا ويضمون هامات سياسية واقتصادية ضخمة ويمكنك التحقق بسهولة وهم يستخدمون الجماعات الطائشة هذه لتحقيق أهدافهم السامية وهي عودة المنتظر ليجلس على عرش هذا العالم ....

-- نعود لقضيتنا الأن برأيك من أين يمكننا أن نبدأ الأن فمعلوماتك القيمة زادت الأمر تعقيدا ؟؟؟

-- نعم عندك حق كيف يمكننا البدء لإنقاذ يارا من بين أيديهم !!!!!!!

****

-- ليلتنا هي الرابع والعشرين من اكتوبر وفيها يجب أن ننهي الأمر بأي ثمن .....

قال هذا الكاهن الأكبر لمساعده الذي وقف هادئا عند ركن الحجرة قبل أن يسأل قائلا :

-- ولماذا هذه الليلة تحديدا يا سيدي ؟؟؟!!

-- في هذه الليلة سيتعامد كوكب الزهرة وهو نجمة الصباح على الهرم مباشرة حيث تتعامد الكواكب الثلاث النيرة على الأهرامات الثلاثة وهي علامة ظهور المنتظر وهي مناسبة لا تتكرر سوى مرة واحدة كل 2737سنة ومن حظنا السعيد أن تصادف زماننا واستعدادنا حيث تفتح الأبواب الفاصلة بين العوالم السفلية منها والعلوية .... ألم تلاحظ أن هذا اليوم أيضا يناسب يوم ميلاد الشيطان في كل الحضارات !!! إنها إشارة لنا ..

رفع الكاهن كأسه ليفرغ في جوفه كمية كبير من الخمر في حين قال المساعد بتردد :

-- ولكن ماذا عن أمر السر الأخير ياسيدي ؟؟

-- أنه بين يدينا ياسيدي ..
التفت الجميع إلى ليليت التي دخلت فجأة دون استأذان وخلفها تقدمت فتاة ذات شعر متناثر بعشوائية واضعة حلقة صغيرة في أنفها وأخرة في شفتيها السفلية وما إن رأت الكاهن حتى خرت راكعة وهي تقول :
--كل شيء جاهز ياسيدي كما أمرت تماما ...
-- حسنا خذوها إلى الهيكل وليستعد الجميع فهذه ليلتنا حيث سيتغير الزمان .....
****

توقفت السيارة بيجو حمراء في هذا الشارع الضيق ونزل منها ثلاث فتيات كانت احداهن كأنها ليست في وعيها ..
تقدمت احداهن إلى باب أحد المنازل القديمة بمنطقة نزلة السمان وطرقت عدة طرقات قبل أن تفتح نافذة صغيرة جانبية يتدلى منها رجلا في الخمسين من عمره أشعث الشعر فتطلع إلى وجوه الفتيات ثم التفت يمينا ويسارا ليطمئن لخلو المكان ثم أغلق النافذة بسرعة ليفتح الذي أصدر صريرا عاليا فيظهر خلفه الرجل قصير مكتظ اللحم وهو يشير لهن بالدخول بالخول بسرعة وعيناه تتفحصان في وجه الفتاة الفاقدة الوعي فقالت له إحدى الفتاتين :
-- هل هناك شيء في الفتاة ؟؟
قال بخبث :
-- إنها جميلة هل يمكنني ..
لم يكمل حديثه فقاطعته الأخرى قائلة :
-- لا ... هذه بالذات لا عند عودتنا ليكن لك ما تشاء حتى لو رغبت في أنا نفسي ..
مالت عليه بخلاعة فابتسم الرجل وقد سال اللعاب بين شفتيه كأنه ذئب يستعد لافتراس شاة سمينة ...

انطلقت الفتيات وخلفهن الرجل فقد بدين أنهن يعرفن طريقهن جيدا وهن يهبطن درجا صغيرا متهالك قبل أن يتحول إلى مجموعة من أحجار متراصة بعشوائية لارتفاع نصف المتر تقريبا ووسط ظلام دامس اتخذت الفتيات جانبا ليمر الرجل ويضيء كشاف قابل للشحن ليسيروا عبر دهليز ضيق تفوح منه رائحة نتنة حتى وصلوا إلى حائط أمامه مباشرة كتلة من الأسمنت مربعة اقترب منها الرجل ودفعها بصعوبة ليظهر تحتها فتحة كأنها بئر قديمة فأشار اليهن بالاقتراب وقال :

-- أنتن تعرفن الطريق هناك مصباح بالأسفل ...

نزلت الفتاة الأولى بحذر واقتربت الثانية والرجل يتعاونان في حمل يارا الفاقدة الوعي ليناولاها إلى الفتاة بالأسفل ....

غمزت الفتاة الأخيرة للرجل قائلة :

-- انتظرني عند عودتي ..

مسح الرجل لعابه وهو يقول :

-- بالتأكيد ..

كان المكان عبارة عن سرداب ضيق منخفض لا يسمح لشخص طويل بعض الشيء أن ينسب قامته ...

سارت الفتاتان وهن تسحبنا يارا في هذا السرداب الذي أصبح مثل الثعبان من كثرة المنحنيات حتى أصابهما الإرهاق حتى ظهر لهن حجر كبير وقفا عليه ليجدا فوقهما مباشرة حجر أخر استخدم كغطاء فدفعته احداهن وتسلقت للأعلى ثم تناولت من زميلتها يدا يارا وجذبتها بقوة حتى خرج الجميع ثم أعادت الحجر موضعه لتخي مدخل السرداب السري ووقفتا للحظات تستنشقان بعضا من الأكسجين .....

****

كانت زيارة هشام لحسين في هذا الوقت لسببين مهمين فالأول ليطمئن أن حسين لا يشك فيه أو يقابل أدم رغم أن هذا أمر

مستبعد تماما أما السبب الثاني فهي مهمة أخيرة لهشام قبل أن يحصل على مبلف كبير من المال من الكاهن الأكبر كانا قد اتفقا عليه بعد أن تنتهي الطقوس مباشرة وكان عليه كحفاظا على استثماراته أن يحضر القداس الأسود ليضمن حقوقه فكان عليه أولا أن يشغل حسين عنه تلك الليلة وهو ما فعله تماما ولهذا جلس على أطلال سور قديم ارتفع عن الأرض لمتر تقريبا مقابلا للهؤم تماما من ناحية الشرق يتابع بحماس الاعدادات وذلك الكاهن الأكبر قد تسلق صخرته الضخمة وإلى يمينه مساعديه الثلاثة وأسفل الصخرة رسمت النجمة الخماسية بداخل الدائرة وفي الوسط تماما كانت يارا ملفوفة بخرقة بيضاء تخفي من أعلى صدرها إلى ركبتيها وقد فتحت ذراعيها ويديها لتشكل نجمة بجسدها ...

وأمامها مباشرة رسمت حلقة من الشباب والفتيات يرتدين الملابس السوداء ويمسكون شموعا سوداء ليرسموا حلقة كبيرة من الضوء الصادر من شموعهم ..

أما عند رأس يارا فقد جلس شخص يرتدي عباءة سوداء تغطي جسده بالكامل من رأسه حتى أغمس قدميه وفي يده خنجر غريب الشكل أسود كله ...

رفع الكاهن الأكبر يديه فانخفضت الأصوات تماما فجأة حتى ساد سكون مطبق على هذه المنطقة التاريخية قبل أن يقول :

-- اليوم قداسنا الأسود يختلف عن كل قداساتنا فهو الأهم والأخطر وهو ما انتظره جميعنا وعانينا من أجله بعد اليوم ستكون قداساتنا في حضرة السيد مباشرة الأن سنطلي أجسادنا بالسر الأعظم لننال النور المقدس هنا عند قدس الأقداس عد هيكل الزمان والتاريخ حتى يتجلى لنا ببهاءه المعظم فيهبنا المعرفة والحكم والحياة هنا قد وصفه الفراعنة بإله الشر نحن نثبت لهم بعد ألاف السنين أنه إله النور فاتلوا معي هذه الصلاة ..

(أيها الشيطان وعيم الأبالسة الجهنمية ياملك الهاوية والعقاب أضرع إليك أن تصغي إلى صلاتي ...بارك عبدك في خدمتك أمامك ..)
قال الجميع بصوت خاشع :
-- أمين .....
أشار الكاهن لذلك الجالس عند رأس يارا لينهي مهمته المقدسة فرفع ذلك الشخص خنجره إلى الهواء كأنما يستعرضه للحاضرين و ....
انطلقت الرصاصة تطيح مباشرة بالخنجر من يدي المتشح السواد بإصابة دقيقة استطاع تنفيذها حسين بمهارة ودون مقدمات هجم العشرات بشراسة على وفي نظراتهم الكثير من القسوة على حسين الذي وقف في الجهة الغربية فجحظت عيناه من هول الموقف ويده تعتصر مسدسه فأطلق رصاصته الثانية والثالثة ورغم سقوط القتلى إلا أن هذا الفوج لم يتوقف كأنما الموت لا يعنيهم وكانت المفاجأة الأكبر عندما فرغت طلقاته فجأة فنظر إلى صخرة عالية قفز بسرعة فوقها والأعداد تتكاثر من حوله وهمهمات غاضبة تخرج من حناجرهم والأيدي تحاول الأمساك به وعلى أحد الجوانب حاول شخص تسلق الصخرة فهوى حسين بقدمه ليطيح به بعنف والقدم الأخرى سرعان ما تعاملت مع ثاني وكأنه سباق للأرجل ركل ثالث ورابع فكان المشهد كأنما شخص ما يؤدي رقصة عبثية ...
بالقرب من منصة الكاهن كان أدم يكيل لكمة أطاحت بذلك المتشح بالسواد لعدة خطوات ليقترب بسرعة إلى يارا محاولا رفعها من الأرض إلا أن اثنين تبين أنهما مساعدي الكاهن جذباه للخلف فاستدار برشاقة ولكم فك أقربهما إليه ثم ارتفعت قدمه لتعصر كلية الأخر بعنف ..
أثناء هذا كشف المتشح السواد وجهه ليتضح أنها ليليت وصوت الكاهن يصرخ :

-- ليليت يجب أن نأخذها معنا ..
مشيرا إلى يارا .....
أشهرت ليليت بسرعة مسدس وقفزت لتقطع خطوتين أو ثلاث وتهبط بقبضة المسدس على مؤخرة رأس أدم الذي سقط أرضا من فوره فجذبت يارا من شعرها لتوقفها وقد كانت بدأت تستعيد وعيها وانطلقت بسرعة مع الكاهن وكما يدفعان يارا في اتجاه الشرق عند أطلال معبد قديم حيث كان يجلس هشام قبل أن يختفي ومن ممر صغير بين بقايا الجدران وما إن اختفيا حتى علت صافرات سيارات الشرطة مما دفع جموع عبدة الشيطان للفرار بسرعة تاركين حسين الذي كان ينازع بشدة بعد هذا المجهود الخرافي ورغم ذلك اتجه إلى أدم مباشرة ليساعده على النهوض مرة أخرى والأخير يصرخ لقد ذهبوا من هنا وهو يشير إلى الطريق التي سلكها الكاهن وليليت بصحبة يارا فانطلقا مسرعين وحسين يحشو مسدسه ..
وخلف أطلال المعبد القديم كان كلا من الكاهن وليليت يسرعان وهما يدفعان يارا بقوة
-- أعتقد أنك مدين لي !!!
كان هشام الذي يقف أمامهم مباشرة ..
-- هذا ليس الوقت المناسب يا هشام !!!
قالها الكاهن بعصبية في حين ابتسم هشام وقال :
-- بل هو أنسب وقت فأعتقد أنك تهم بالرحيل عن البلاد الأن ؟؟؟
-- لا ..لا أعدك أن كل أموالك ستصلك فور فراري ...
-- شيء ما يمنعني الوثوق بك !!
-- إسمع يا هذا انصرف الأن وإلا قتلتك .
كانت ليليت تشير بمسدسها وبسرعة التقط هشام مسدسه ولكن رصاصة أسرع خرجت من فوهة مسدس ليليت ليسقط هشام أرضا في لحظات وبسرعة استداروا للاستمرار في الفرار وكان

CXXX

الكاهن في المقدمة وخلفه ليليت تدفع يارا التي استبد به الهلع وقد استعادت وعيها كاملا ولكن قنبلة انفجرت في فك الكاهن جعلته يسقط أرضا وخيطا رفيعا من الدم يسيل من شفتيه في حين دفعت ليليت بيارا جانبا لتسقط بالقرب من الكاهن الذي رأت وجهه لأول مرة لتطلق شهقة قوية وليليت توجه مسدسها لرأس أدم مباشرة الذي تسلل عبر أطلال المعبد ليأتي من الأمام

-- هل هذا أنت مستحيل أنا أحلم حتما ؟!!!

قالتها يارا للكاهن وهي جاحظة العينين من هول المفاجأة فنظرت إليها ليليت ساخرة

-- نعم يا شقيقتي هو نفسه من خطط لكل هذا ..

-- مستحيل !!!

-- شقيقتك ؟؟!!!

نظرت ليليت إلى أدم :

-- نعم كلانا شقيقتين لقد خدعتك البريئة ..

نظر أدم متعجبا وقال :

-- هل هذا صحيح ؟؟؟

قالت يارا وهي تبكي :

-- نعم إننا شقيقتين من نفس الأبوين وهذا هو من كنت أظنه والدي قبل أن يخبرني بحقيقة الدكتور مختار ..

قال الكاهن الذي مازال على الأرض :

-- أقتليه الأن واجعلينا نخرج من هنا .

رفعت ليليت مسدسها وسبابتها تكاد تعتصر الزناد لول ضربة قوية هوت على مؤخرة رأسها من حسين الذي تسلل من الخلف فيسقط مسدسها فانطلق أدم يساعد يارا على النهوض غير أن رصاصة انطلقت لتصيب أدم بكتفه مباشرة لقد كان الكاهن الذي التقط مسدس ليليت الذي سقط لكن رصاصة اخترقت رأس الكاهن بسرعة من مسدس حسين وصرخة من

ليليت وهي تلقي بنفسها على والدها الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة فقال لها بصعوبة :
-- أنا أسف ياحبيبتي سأذهب إليه بمفردي حتى يحين وقتك ..
-- بل الأن هو وقتي ..
وانطلقت رصاصة أخيرة ولكن هذه المرة من مسدس ليليت وبيديها في رأسها مباشرة لتنتحر ..
احتضنت يارا أدم الذي بدا أنه يتألم بشدة من جراء الرصاصة في كتفه ورغم ذلك سألها :
-- هل هي شقيقتك حقا ؟!!
-- نعم لكن كلا منا اختارت طريقها .
قال حسين :
-- هل هي أيضا ابنة الدكتور مختار ؟؟؟
أومأت يارا برأسها مجيبة فأردف قائلا :
-- وقتلت والدها ؟؟
قالت يارا بحزن :
-- للأسف لم تعترف بأنه والدها لقد باعت نفسها للشيطان منذ زمن بعيد ولكن المفاجأة أن يكون والدي بالتبني هو الكاهن ...
قال أدم والألم يضرب بعقله :
-- إنها خطة شيطانية من الدكتور مختار أن يحفظ سره بين يدي أعداءه .
اقترب حسين وساعد أدم على النهوض وقال :
-- الأن فهمت السر .....
****

الخاتمة

لدي سؤال لكما :
-- كيف تقابلتما أنتما الإثنين ..
وجهت يارا سوالها لأدم وحسين الذين جلسا أمامها في ساحة انتظار المطار
ابتسم أدم وقال :
-- عند فراري في الدير لم أجد أمن من سيارة المفتش حسين حتى أختبئ فيها ...
ضحكت يارا بشدة وهي تقول متعجبة :
-- سيارة من يريد القبض عليك ؟!!
-- أفضل ممن يريد قتلي هناك ..
-- ولكن لماذا لم تقبض عليه وكفى أيها المفتش فلقد كان بين يديك ؟!!
قال حسين :
-- كنت منذ البداية أشعر ببرائته وفي أثناء هروبكما تجمعت لدي معلومات أثبتت هذا الحدس ....
نظر إليه أدم وقال :
-- لم تخبرني بشيء عن هذا ؟!!
ابتسم حسين وقال :
-- انها العقلية الأمنية الحذرة ..
-- وما هذه المعلومات ؟؟
-- طردك من الجريدة بأمر سيادي خاصة وأنك كنت تكشف للناس حقيقة المؤامرة الكونية وبالتحري وجدت أن من وراء هذا القرار سياديين ينفذون أوامر وأهداف محددة تتفق مع ما حدثتني عنه ثانيا أن الدكتور محمد جمال قتل في وقت لم تغادر أنت بيتك مما جعل أصابع الاتهام تبتعد عنك ..
-- لماذا إذن استمريت بمطاردتنا ؟!!
-- كنت أعرف أنكما مفتاحي وقد كان ..

ضحك الجميع بشدة وهما يمازحون بعضهم إلا أن نظرة غريبة علت وجه أدم مما جعل يارا تنظر إليه وتقول :
-- ماذا هناك يا أدم ؟؟
-- أفكر فيما قد يحدث المرة القادمة فالأمر وإن توقف الأن ولكنه سرعان ما سيبدؤون خطوات جديدة تجاه هدفهم ..
ساد صمت على الجميع وهم يفكرون في حديث أدم وكلا منهم يتخيل القادم .....

تمت بحمد الله

عمرو ممدوح
الفيوم مصر
2016/6/21